الافتتان بالأولاد .. والإعجاب الزائد بهم!!

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◎ العدد ٥٤٧ السنة السادسة والأربعون - رجب ١٤٢٨ هـ ◎ الثمن: ٣ جنيهات

الطلاق ثلاثاً .. والطلاق المعلق

علاج ضعف الأمانة

◆ ◆ ◆

العمل الكثير في الصلاة

القمة العربية وسفينة تتقاذفها الأمواج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك: للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد. وبحث الشكوي: لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

بلاغة العرب

كان رجل من دُهاة العرب وعُقلائهم اسمه شنٌّ، فقال: والله لأطوفنَّ البلاد حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها. وبينما هو في بعض مسيره إذ لقيه رجل في الطريق. فسأله شنٌّ أين تريد؟ فقال: أريد قرية كذا؛ فكانت هي القرية التي يقصد لها شنٌّ، فرافقه. وفي الطريق قال له شنٌّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل، أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟! فسكت عنه شنٌّ وسارا، حتى إذا اقتربا من القرية إذا هما بزرع على وَشك الحصاد. فقال له شنٌّ: أترى هذا الزرع أكله أهله أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل ترى نبتًا لم يُحْصَد فتقول: أتراه أكله أهله أم لا؟! فسكت عنه، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شنٌّ: أترى صاحب هذا النعش حيًا أم ميَتًا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك؛ ترى جنازة فتسأل عنها أَمَيِّتٌ صاحبها أم حي؟! فسكت عنه شنٌّ وأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه. وكانت للرجل بنتٌ اسمها طَبَقَةُ. فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه. فقالت: يا أبه؛ ما هذا بجاهل. أما قوله: أتحملني أم أحملك: فأراد: أتحدِّثني أم أحدِّثك حتى نقطع طريقنا. وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا. فإنما أراد: أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا. وأما قوله: في الجنازة: فأراد هل ترك أولادًا يحيا بهم ذكره أم لا. فخرج الرجل فقعد مع شنٍّ فحادثه ساعة ثم قال له: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟ فقال: نعم. ففسره. فقال شنٌّ: ما هذا كلامك. فأخبرني مَن صاحبه. فقال: فسرتُه ابنة لي. فخطبها من أبيها، فزوجه إياها وحملها إلى أهله. فلما رأوهما قالوا: وافق شنٌّ طبَقَه. فصارت مثلاً.

ذلك المثل يشبه قول القائلين: الطيور على أشكالها تقع!!

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي على ٤٥ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٥ سنة كاملة

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
القمة العربية وسفينة تتقاذفها الأمواج: رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٧
فتح القسطنطينية: عبد الرزاق السيد عيد ٩
باب الفكر الإسلامي: د. أحمد منصور سبالك ١٢
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٤
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
منبر الحرمين: الشيخ خالد بن علي الغامدي ٢٣
باب الفقه: د. حمدي طه ٢٧
اللقطة واللقيط: إعداد: محمد عبد العزيز ٣٠
إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح: معاوية محمد هيكل ٣٢
احذر هذا الكتاب.. احذر هذه البدعة: سيد عباس الجليمي ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
إدارة الخجل بين النظرية والتطبيق: د. ياسر لمعي ٤١
علاج ضعف الأمانة: د. عماد عيسى ٤٤
باب العقيدة: د. صالح الفوزان ٤٧
الافتتان بالأولاد والإعجاب الزائد بهم: الشيخ جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
قضاء حوائج الناس: صلاح عبد الخالق ٦١
واحة التوحيد: علاء خضر ٦٤
العالم الإسلامي: رئيس التحرير ٦٦
مقدمة في علم القراءات: د. أسامة صابر ٦٨
الطلاق ثلاثا.. الطلاق المعلق: الشيخ: مصطفى العدوي ٧٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

جهود أنصار السنة في محاربة فكر الغلو والتطرف

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن نشأة أنصار السنة المحمدية، وذكرت أهم أهدافها، كما عرَّفت بمؤسِّسها والمجلات التي تصدرها، وفي هذا اللقاء أذكر طرفًا من تصدِّي أنصار السنة للغلو والتطرف، فأقول وبالله التوفيق:

تدور مادة هذه الكلمة- أعني: الغلو- على مجاوزة الحد والقدْر فوق ما يستحقه الشيء، وعلى هذا تتابعت أقوال أهل اللغة.

قال ابن فارس: «وغلا في الدين والأمر يغلو غلوًا: جاوز حده، وفي التهذيب: غلوت في الأمر غلوًا وغلانية وغلانيًا: إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه». (لسان العرب: ١٠/١٣٢).

وقال النحاس: «الغلو: التجاوز، قال أبو عبيد: كما فعلت الخوارج؛ أخرجهم الغلو إلى أن كفَّروا أهل الذنوب، قال: ويبين لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"، والمروق: هو الغلو بعينه؛ لأن السهم يتجاوز الرمية». (معاني القرآن: ٢/٣٤٥).

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ» (المائدة: ٧٧). «أي: لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل». (تفسير الكريم الرحمن: ٢/٣٢٨).

وأما المراد بالتطرف فهو: البُعد عن الوسطية، ومجاوزة حد الاعتدال، جاء في المعجم الوسيط في معنى كلمة التطرف: «تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط». (المعجم الوسيط، مادة طرف). وبهذا يظهر أن الغلو والتطرف يتنافى مع قواعد الإسلام، ويصطدم مع يسره وسماحته، ولذلك قامت أنصار السنة بالتصدي له؛ حمايةً للدين الحق الذي جاء من عند الله تبارك وتعالى، واحتلّ ذلك مساحة كبيرة من أنشطة الجمعية.

وقد كان الغلو في تقديس الأشخاص وبناء المساجد على قبورهم، والتوجه بالدعاء إليهم والتماس البركة منهم، ونسبة علم الغيب إليهم من الأمور السائدة في المجتمع، في الوقت الذي أسست فيه الجمعية، وعندئذ قام علماؤها بالتصدي لهذه المخالفات العقدية، إلى

جانب مواجهة البدع المُحْدَثة التي لا صلة لها بالشرع، وتتناقض مع السنة النبوية المطهرة والوحي المنزل، ولما بدأ فكر الخوارج يتزايد وينتشر على يد بعض الجماعات الحزبية الغالية، والتي تزامنت مع إنشاء الجمعية، واجهت الجمعية ذلك بقوة، ولم تقف مكتوفة الأيدي أمام هذه الظاهرة، بل واجهتها بعلم وفقه وبصيرة.

ومن ذلك ما كتبه أحد علمائها وهو العلامة أحمد محمد شاكر، رحمه الله، في مقال نُشر في جريدة الأساس بتاريخ ١٩٤٩/١/١٢م، وقد ردَّ فيه على بعض الجماعات الغالية بعد حادثة اغتيال رئيس الوزراء محمود النقراشي رحمه الله.

وفي عهد الشيخ عبد الرحمن الوكيل، أصدرت الجمعية بيانًا بيَّنت فيه سماحة الإسلام وعدله، حتى مع أعدائه، واستنكرت بشدة الأعمال التي تقوم بها الجماعات الغالية، ومما جاء في هذا البيان:

«المؤمن لا بد أن يكون له من إيمانه ما يحجزه عما لا يليق بأحرار الرجال وعما نهاه الله عنه من الفتك والاغتيال والسعي في الأرض فسادًا، ولهذا حرصت الجمعية منذ أُسِّست على تقوى من الله واعتصام بالكتاب والسنة أن تدعو إلى الله بالحجة والبرهان، وهي بمنأى عن الحزبية العمياء والعصبية الحمقاء، ظاهرها كباطنها، وعلنها هو سرها، ليس لها ما تخفيه أو تخاف منه إلا غضب الله، دعوتها سلمية علنية، ولهذا فهي عن صدق وإيمان تستنكر بشدة هذه الأساليب التي لجأت إليها بعض الجماعات باسم الدين، فحمَّلت الإسلام وِزْر جناياتهم وإثم حماقتهم، وكادت بجريمتها البشعة تقضي على كل ما حققناه من أمجاد وبنيناه من عماد». (مجلة الهدي النبوي، عدد جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ).

قُلتُ: رحم الله الشيخ عبد الرحمن الوكيل على هذا البيان الذي لخص فيه دعوة أنصار السنة، وأشار فيه إلى أنها قائمة على الكتاب والسنة، وهي دعوة سلمية وواضحة علنية، وهي تعمل في وضوح كالنهار، ظاهرها كباطنها، وليس عندها ما تخفيه، ولذلك ربَّت أجيالها على هذا الطريق الواضح والمنهج القويم.

ومن هنا نجد أن الجمعية بعلمائها على مدار تاريخهم واجهوا حوادث الغلو والعنف والقتل بعلم وفقه، وبينوا أن هذا المسلك ليس من منهج الإسلام في شيء، وكانت الجمعية ترصد هذه الأعمال في وقتها وتتحدث عنها وعن أسباب وقوعها والعلاج الذي تواجه به.

والحديث حول هذا يطول جدًّا، لذلك سأكتفي بذكر نماذج لما قامت به الجمعية في مواجهة الغلو والتطرف تجاه الأحداث التي كانت تقع من أصحابها، وكانت تفعل ذلك حفاظًا على أمن العباد واستقرار البلاد، ونصرة لمنهج أهل السنة والجماعة، ومن ذلك ما كتبه العالم الفذ الشيخ أحمد فهمي، رحمه الله، رئيس تحرير مجلة التوحيد ونائب الرئيس العام الأسبق للجمعية بعنوان: «التطرف، أسبابه وعلاجه»، وقد أشار فيه إلى بيان صادر من بعض العلماء المجتمعين في الأزهر، وقد وجَّهوا فيه كلمة إلى الشباب بخصوص هذا الموضوع، ثم عقَّب على ذلك بإبراز موقف أنصار السنة، فقال: «إننا نوافقهم على ما جاء في بيانهم، نوافقهم على أن الدعوة إلى الله لا بد أن يكون أساسها الحكمة والموعظة الحسنة، حيث أمر القرآن الكريم بذلك، ونؤكد ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النهي عن أن يكفر المسلم أخاه وإلا فقد باء بالكفر أحدهما، ونؤكد كذلك ما نفهمه من أن تغيير المنكر باليد واجب على ولي الأمر، وعلى كل إنسان في حدود ولايته». (مجلة التوحيد، عدد رجب، ١٤٠٩هـ).

قُلْتُ: أين الدواعش المارقون الذين خرجوا في هذا العصر من هذا الكلام، وقد زعموا أنهم يطبِّقون الحدود والأحكام بعيدًا عن حكام المسلمين وأئمتهم بعد أن حاربوهم وخرجوا عليهم، وهم نكرات لا يُعرَفون، وخلاصة أمرهم: أنهم مجموعة من الحدثاء ضلوا طريق الحق،

فنتج عنه تشويه الإسلام وصدُّ الناس عنه بأفعالهم المنكرة الشنيعة.

وعندما قام نفر آخرون من هؤلاء الغلاة بإطلاق الرصاص على رئيس مصر الأسبق محمد أنور السادات، رحمه الله، أصدرت الجمعية بيانًا أنكرت فيه هذا العمل ودعت الحكام والمحكومين إلى التمسك بهدي القرآن والسنة.

ومما جاء فيه: «تستنكر جمعية أنصار السنة المحمدية أشد الاستنكار كل أشكال العنف، وتعلن أن ما ترتب على ذلك من اغتيال الرئيس الراحل السادات يمثل خروجًا على أحكام الدين؛ لأن الله سبحانه أوضح طريقة الدعوة إليه وأسلوبها في قوله تعالى: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ » (النحل: ١٢٥)، فالإسلام لا يعرف العنف في فرض الرأي، ولا يعرف النزول إلى لغة الرصاص، فليس لأحد أن يعنف أو يحمل السلاح على الآخر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». (مجلة التوحيد، عدد محرم، ١٤٠٢هـ).

ولما وقع اعتداء بالقتل على بعض السياح من خارج البلاد في مدينة الأقصر عام ١٩٩٧م، استنكرت الجمعية هذا العمل الإجرامي في جمعيتها العمومية غير العادية بتاريخ ١٩٩٧/١١/٢٨م، وطالبت بتحكيم الشريعة في الجناة وفي كل مناحي الحياة، ليتحقق لمجتمعنا الأمن والاستقرار، ونشر هذا على صفحات جريدة الأهرام، بتاريخ ١٩٩٧/١٢/١م، وكتب بهذا الخصوص نائب الرئيس الأسبق للجمعية الشيخ صفوت الشواد رحمه الله في مقالاً في مجلة التوحيد عنونه بقوله: «مذبحة الأقصر وموقف أنصار السنة»، ومما جاء فيه:

«إن جماعة أنصار السنة المحمدية تقف ضد التطرف والغلو والإرهاب بجميع صوره وأشكاله، وإنها لا تقبل بأيِّ مبرر من المبررات قتل الأبرياء الآمنين من السائحين أو غيرهم، وذلك انطلاقًا من مبادئ الشريعة الإسلامية التي تضمن حرية الإقامة لمن يستظلون براية الإسلام، والتي تقرر أنه لا يجوز للمسلمين الاعتداء على من يخالفهم في الدين والرأي، فالإسلام يدعو إلى الحق والخير والعدل، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، كما أن الإسلام بريء من الإرهاب والتطرف والغلو، فهو دين الوسط والاعتدال واليسر والسماحة ورفع الحرج، والتخفيف من الله اللطيف الخبير، كما قال الله تعالى: « يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا » (النساء: ٢٨)، كما أننا ندعو رجال الشرطة والأمن إلى ضبط النفس والتدقيق في التحقيق، فإن الله يأجرهم ويثيبهم على العدل، ويعاقبهم على الظلم: « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ » (فصلت: ٤٦). (مجلة التوحيد، عدد رمضان، ١٤١٨هـ).

ولما رأى علماء الجماعة أن ما يقوم به هؤلاء الشباب من قتل وتشريد، وتكفير وتفجير كان بسبب عدم فهمهم للجهاد في شريعة رب العباد، وسوء فهمهم لآيات الأحكام، كتب الشيخ محمد صفوت نور الدين، رحمه الله، الرئيس الأسبق للجمعية مقالاً بعنوان: «الجهاد وقتال الفتنة»، وقد بيَّن فيه رحمه الله المفهوم الصحيح للجهاد، وأنه يقع للقضاء على الفتنة، وليس لإحداث الفتنة، كما ذكر أن ما يقع من البعض باسم الجهاد، ليس جهادًا، وذلك كسرقة أموال بعض العصاة والكفار، أو حدوث الاغتيالات وترويع الآمنين بإلقاء المتفجرات، أو قتل السياح الوافدين إلى بلاد المسلمين، ومثله اختطاف الطائرات وقتل الأبرياء، كل ذلك أُلصقَ زورًا وبهتانًا بالإسلام، وهو فهمٌ غريب ومريب لدى هؤلاء.

ثم ذكر رحمه الله أن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشرع يحفظُ على الناس ضرورات خمساً هي: الدينَ، النفس، العرض، المال، العقل، وأن كل ما هدَّد واحدة منها فهو مخالف للشرع محارب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. (مجلة التوحيد، عدد ربيع الآخر ١٤١٦هـ).

وسأواصل الحديث حول هذا الموضوع في العدد القادم- إن شاء الله- وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
كلمة التحرير
التوحيد

القمة العربية.. وسفينة تتقاذفها الأمواج

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي نصب الكائنات على ربوبيته دليلاً، لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً.. وبعد:

أكتب تلك السطور قبل انعقاد القمة العربية في الأردن بأيام قليلة، كنت أود تسجيل تلك الخواطر قبل انعقادها بوقت كاف، ولكن ليس بخاف على كل مَن يعيش تحت سقف هذه الأمة يتحدث بلغتها، ويتمسك بترابها، وهو يرى ما يحدث على أرضها، وما يُحاك من أعدائها، بل وما يقع بين أبنائها وقادتها وشعوبها، بين التيه والتشرذم والضياع: دول قد فككت، وشعوب قد شردت، ومدنٌ قد أُزيلت وانمحت آثارها، ومغانم بلادنا تُقسَّم بين أصحاب النفوذ والقوة والأطماع ما بين مثلث أمريكي أوروبي، يزرع الفتن، وينهب ثروات تلك البلدان، فالعراق وسوريا ماثلة ينفطر لها القلوب والأفئدة، وليبيا واليمن، ومثلث إيران وإسرائيل المستفيدة من كل الأحداث، والصحوة الروسية لإثبات الوجود، وعقد التحالفات، ويكفي أنهم جعلوا العرب بمعزل عن حل قضايا بلادهم، منشغلين بما دبره أعداء الأمة لهم، ناهيك عن المشردين بالملايين في ظروف غير إنسانية تتقاذفهم الأمواج، وتصدهم الحدود، ومخاطر عديدة تحيط بالأمة، وتفتت شملها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تتداعى الأمم علينا لإغراق السفينة

أيام قليلة يتطلع أبناء الأمة في هذا التوقيت العصيب الذي تعيشه أمتنا لعقد مؤتمر القمة العربي في دور انعقاده العادي على ضفاف البحر الميت في المملكة الأردنية، وسط أجواء صعبة تعيشها الأمة وتزلزل كيانها، لا يحتاج المرء إلى كبير عناء ليدرك أن الواقع المر المعاصر الذي تعيشه أمتنا العربية لهو من أشد وأصعب ما مر بها عبر تاريخها الطويل، إن لم يكن أعظمها على الإطلاق.

فأزمتها الحالية ليست كسالف الأزمات، ونكبتها وانتكاستها في كثير من المجالات تكاد تكون غير مسبوقة في شدة وقسوة النكبات والنكسات، وما ذلك إلا لخطورة التحديات، وشدة الصراعات، وضراوة المؤامرات المتمثلة في تداعي الأمم عليها من خارجها والغثائية المهينة من داخلها.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فهذا هو رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم يقول: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها». فقال قائل: «أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». (رواه أبو داود، وأحمد، والطبراني).

فما سَلمَتْ دولة إلاَّ وأخذت حظها، بقدر قدَّره لها ربُّ العزة سبحانه، جزاء ما اقترفته أيديهم، وتخليهم وبُعدهم عن عقيدتهم، والانسياق وراء مَن يجرُّون الأمةَ إلى مستنقعات عميقة تهدم أمجاداً كانت ضاربة في أعماق من التاريخ، وكم عانت منها أمتنا فأوصلتها إلى حضيض الغبراء، بعد أن كانت في ذُرَى العلياء، فأصيبت بالوَهَن والضعف.

تنعقد القمة العربية، وسفينة الأمة تتقاذفها الأمواج العاتية، والشعوب العربية تتطلع إلى من ينقذ السفينة بعد أن غاصت في أعماق بحور مائجة تبحث لها عن شاطئ ترسو فيه.

قضايا شائكة أمام مؤتمر القمة

تنعقد قمة الأردن والجامعة العربية تواجه مؤامرات دولية وخارجية واقليمية، تنهشها الأطماع الخارجية والإقليمية والذاتية وتهدد وجودها كدول؛ لأن المؤامرات عليها لا تقف عند تمزيق الدولة الواحدة، بل تمزيق ما تبقى من أواصر الأخوة بين الدول وبعضها البعض، وما يجري في العراق وسوريا واليمن وليبيا، والسيناريوهات المطروحة على موائد المفاوضات التي تعقد في بلدان العالم الذي يتصارع على اقتسام الأدوار وأخذ حصته من الغنائم، وتدميرها، بل واقتلاعها من على وجه الأرض بأموال دولها، ثم إعادة بنائها بعد تدمير حضارات تلك الدول، بعد أن زرعوا الجماعات الإرهابية التي رعوها حقَّ رعايتها حتى استفحلت وبدأت تحرق الأخضر واليابس، وبدأت تكتوي بنيرانها، فبدأت تتحدث عن ضرورة مقاومة الإرهاب، الذي يدمُر في بلادنا ويشوِّه ديننا، بحجة انتمائهم للإسلام، والإسلام منهم براء!!

والقضايا الاقتصادية تأتي في مقدمة الملفات والمخاطر التي تواجهها تلك الدول أمام التلاعب باقتصادياتها، وقضية أسعار البترول التي لم يقف عندها أصحاب الفكر والبصيرة سوى وقفة عابرة، ثم طُويت الصفحة وبدأت اقتصاديات تلك الدول تتهاوى وخاصة مع اشتعال الحروب التي أسَّسوا لها لإنهاك اقتصاديات الدول العربية وإفلاسها، والتأثير على مستوى معيشة المواطن في العالم العربي، وحركة التجارة والسياحة بين دوله.

والعلاقات المصرية السعودية التي تعتبر الحصن الحصين للأمة العربية والإسلامية، فهي قاطرة العلاقات في العالمين العربي والإسلامي، وما يربط الشعبين من علاقات حضارية في تاريخ الشعبين.

والأخطار الإيرانية في المنطقة وما يمثله التدخل الإيراني الوقح لنشر الفكر الشيعي في المنطقة، إضافة إلى محاولة إيران لترسيخ كونها دولة إقليمية مؤثرة في الأحداث العالمية من حولها.

والقضية الفلسطينية، ومحاولات الصهاينة ابتلاع ما تبقى من الأراضي الفلسطينية تحت الاحتلال، وبناء المستوطنات وتهديد الأقصى الذي هو أمانة في أعناق قادة القمة سيحاسبهم عليها رب العزة عز وجل، والكثير من القضايا على كل المناحي، والأمر جد خطير!!

اتحاد الأمة هو السبيل لدرء المخاطر الجسام

تنعقد القمة العربية وسط أجواء تخيِّم بالكآبة على شعوبها، والحاجة ماسَّة إلى ضرورة ترسيخ وتنامي العلاقات بين الشعوب التي تنتظر من قادتها أن يؤصلوا بين تلك الشعوب الوحدة فيما بينهم بما يتخذونه من قرارات، ومشاركتهم لبعضهم في المصير الواحد الذي يمسك بتلابيب تلك الأمة أمَلاً وألمًا، وفي السراء والضراء، وما يجمع بين شتات الأمة أكثر بكثير مما يفرقهم، ولقد وحدت المصالح أممًا تباينت بهم اللغات، واختلفت بهم الأعراق وكانت بينهم قبل عقود قليلة حروب عظمى، وإبادات كبرى، فما منعهم ذلك أن يطووا تلك الصحائف، وينسوا تلك الضغائن والأحقاد في سبيل المصلحة الأعم والمستقبل الأفضل، فنحن كأمة أحقُّ وأولى بذلك.

فكفانا تنابزًا واختلافًا، وحسبنا فُرقة واتهامًا، فالسفينة تحتاج إلى مَن ينقذها، وأصبحنا في مرتبة لا يؤبه بها بين الأمم، وليس لها مدى في سباقِ الحضارات، غاب منا الكثير حين عجزنا عن التغيير، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فإن هذه الحال لا يرضاها الله لنا، وقد وصفنا بأننا خير أمة « وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ » (المؤمنون:٥٢)، وهو القائل: « وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ » (الأنفال:٤٦).

ولنعلم جميعًا أن الخلاف بين بني الإنسان موجود كما قضت سُنة الله عز وجل يستوي في ذلك المسلمون وغير المسلمين، « وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ » (هود:١١٨، ١١٩)، « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (آل عمرا:١٠٢، ١٠٣).

فاللهم وفق قادة الأمة العربية والإسلامية لما تحب وترضى، وارفع راية الأمة، وانصرها على أعدائك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ»

(الأحقاف: ١٥).

باب التفسير

سُورَةُ الأَحْقَافِ

الحلقة الثامنة

إعداد/ **د. عبد العظيم بدوي**

أوصى الله تعالى بالوالدين لعظم فضلهما فمَنْ أكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بحَيَاة وَالدَيْه فلْيَحْملْهُمَا فوْقَ رَأسه، وَلْيَجْعَلْهُمَا فِي عَيْنَيْه، وَلْيَغْتَنمْ فُرْصَةَ حيَاتهمَا، ليَكْسَبَ رِضَاهُمَا فيَرْضَى عَنْهُ الله، فَقَدْ قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «رضَا الرَّبِّ فِي رضَا الْوَالد، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَط الْوَالد» ((صحيح سنن الترمذي: ١٨٩٩).

فَمَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ بحَيَاة وَالدَيْه ثُمَّ لَمْ يَغْتَنم الْفُرْصَةَ وَلَمْ يُحَصِّلْ رضَا الله برضَاهُمَا فَأَنَّى يَرْضَى عَنْهُ اللهُ؟!

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رَغمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغمَ أَنْفُ». قيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْه عنْدَ الْكبَر أَحَدَهُمَا أَوْ كلَيْهمَا فَلَمْ يَدْخُل الْجَنَّةَ» (صحيح مسلم ٢٥٥١).

ثُمَّ خَصَّ اللهُ تَعَالَى الأُمَّ بذكْر الْمَتَاعب وَالصِّعَاب وَالْمَشَاقِّ الَّتي تَحَمَّلَتْهَا، ممَّا يَدْعُو إلَى زيَادَة برِّهَا وَالْإحْسَان إلَيْهَا، فَقَالَ: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا» وَمَشَقَّةُ الْحَمْل، وَآلامُ الْحَمْل، وَآلامُ الْوَضْع، وَآلامُ الْولادَة، لا تَخْفَى عَلَى عَاقل، حَتَّى إنَّ بَعْضَ النِّسَاء قَدْ تَفْقدُ حَيَاتَهَا وَتَمُوتُ وَهيَ تَضَعُ وَلَدَهَا، وَلذَلكَ جَاءَ رَجُلٌ إلَى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ الله! مَنْ أَحَقُّ بحُسْن صَحَابَتي؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» (صحيح البخاري ٥٩٧١).

وَقَد اسْتَنْبَطَ الصَّحَابَةُ رضْوَانُ الله عَلَيْهمْ منْ قَوْله تَعَالَى: «وَحَمْلُهُ وَفصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا» أَنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ تَلدُ لستَّة أَشْهُر، قَالُوا: لأَنَّ اللهَ قَالَ: «وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ» (البقرة: ٢٣٣)، فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَوْفَى أَجَل الرَّضَاعَة سَنَتَان- أَرْبَعَةٌ وَعشْرُونَ شَهْرًا- فَيَبْقَى ستَّةُ أَشْهُر للْحَمْل، فَتَكُونُ أَقَلُّ مُدَّة الْحَمْل ستَّةَ أَشْهُر.

ثُمَّ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً للْوَلَد الصَّالح الْبَارِّ بأَبَوَيْه فَقَالَ: «حَتَّى إذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلحْ لي فِي ذُرِّيَّتي إنِّي تُبْتُ إلَيْكَ وَإنِّي منَ الْمُسْلمينَ»:

«إذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعينَ سَنَةً»: فَالْإنْسَانُ مُنْذُ ولادَته وَهُوَ فِي ازْديَاد منَ الْقُوَّة الْبَدَنيَّة وَالْعَقْليَّة إلَى أَرْبَعينَ سَنَةً، فَيَطْغَى الْعَقْلُ عَلَى الشَّهَوَات، فَإنْ أَرَادَ اللهُ به خَيْرًا تَكَشَّفَت الأُمُورُ أَمَامَهُ وَالْحَقَائقُ، وَظَهَرَت الدُّنْيَا

عَلى حَقيقَتها، وَوَجدَهَا لاَ تُسَاوي شَيْئًا، فَزَهَدَ فيهَا وَأقْبَلَ عَلَى الله عزَّ وجلَّ، وَتَوَجَّه إلَيْه مُسْتَعينًا به عَلَى ذكْره وَشُكْره وَحُسْن عبادَته قائلاً: «رَبِّ أوْزعْني» ألْهمْني وَأعنّي وَاجْمَعْ قُوايَ «أنْ أشْكُرَ نعْمَتَكَ الّتي أنْعَمْتَ عَلَيَّ» خاصَّةً «وَعَلى وَالديَّ»، فَإنَّ مَنْ أحْسَنَ إلَى وَالدَيْكَ فَقَدْ أحْسَنَ إلَيْكَ، فَنعْمَةُ الله عَلَى وَالدَيْكَ نعْمَةٌ عَلَيْكَ أنْتَ، فَيَجبُ أنْ تَشْكُرَ الله عَلَى مَا أنْعَمَ به عَلَى وَالدَيْكَ، كَمَا يَجبُ أنْ تَشْكُرَهُ عَلَى مَا أنْعَمَ به عَلَيْكَ خَاصَّةً.

«وَأنْ أعْمَلَ صَالحًا تَرْضَاهُ» فَلَمْ يَطْلُبْ مُطْلَقَ الْعَمَل الصَّالح، وَلَكنَّهُ طَلَبَ عَمَلاً صَالحًا يَرْضَاهُ الله، وَالْعَمَلُ الصَّالحُ لاَ يَكُونُ مَرْضيًّا عنْدَ الله إلاَّ إذَا كَانَ خَالصًا لله، وَمُوَافقًا لسُنَّة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا » (النساء: ١٢٥)، قَالَ الْحَافظُ ابْنُ كَثير رَحمَهُ الله:

«وَمَنْ أحْسَنُ دينًا ممَّنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ لله» أخْلَصَ الْعَمَلَ لرَبّه عزَّ وجلَّ فَعَمل إيمانًا وَاحْتسَابًا، «وَهُوَ مُحْسنٌ» أي اتَّبَعَ في عَمَله مَا شَرَعَهُ الله لَهُ، وَمَا أرْسَلَ به رَسُولَهُ منَ الْهُدَى وَدين الْحَقّ، وَهَذَان الشَّرْطَان لاَ يَصحُّ عَمَلُ عَامل بدُونهمَا، أيْ يَكُونُ خَالصًا صَوَابًا، وَالْخَالصُ أنْ يَكُونَ لله، وَالصَّوَابُ أنْ يَكُونَ مُتَابعًا للشَّريعَة، فَيَصحُّ ظَاهرُهُ بالْمُتَابَعَة، وَبَاطنُهُ بالإخْلاَص، فَمَتَى فَقَدَ الْعَمَلُ أحَدَ هَذَيْن الشَّرْطَيْن فَسَدَ، فَمَتَى فَقَدَ الإخْلاَصَ كَانَ مُنَافقًا، وَهُمُ الَّذينَ يُرَاءُونَ النَّاسَ، وَمَنْ فَقَدَ الْمُتَابَعَةَ كَانَ ضَالاًّ جَاهلاً، وَمَتَى جَمَعَهُمَا كَانَ عَمَلَ الْمُؤْمنينَ «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » (الأحقاف: ١٦)، وَلهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَاتَّبَعَ ملَّةَ إبْرَاهيمَ حَنيفًا» وَهُمْ مُحَمَّدٌ وَأتْبَاعُهُ إلَى يَوْم الْقيَامَة. (تفسير القرآن العظيم(١/٥٥٩)).

«وَأصْلحْ لي في ذُرّيَّتي» هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الثَّالثُ الَّذي سَألَهُ ذَلكَ الإنْسَانُ رَبَّهُ، وَذَلكَ ممَّا يَحْرصُ عَلَيْه الأنْبيَاءُ وَالصَّالحُونَ كَمَا قَالَ إبْرَاهيمُ عليه السلام: « رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ » (الصافات: ١٠٠)، وَقَالَ أيْضًا: «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي » (إبراهيم: ٤٠)، وَقَالَ زَكَريَّا عليه السلام: «رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً » (آل عمران: ٣٨).

فَالْوَاجبُ عَلَى الإنْسَان حينَ يَطْلُبُ الْوَلَدَ أنْ يَحْرصَ عَلَى أنْ يَكُونَ منَ الصَّالحينَ، وَأنْ يَسْتَعينَ بالله عزَّ وجلَّ عَلَى إصْلاَح ذُرّيَّته بالدُّعَاء، فَإنَّ الدُّعَاءَ منْ أعْظَم أسْبَاب صَلاَح الذُّرّيَّة، قَالَ مَالكُ بْنُ مغْوَل: اشْتَكَى أبُو مَعْشَر ابْنَهُ إلَى طَلْحَةَ بْن مُصَرّف، فَقَالَ: اسْتَعنْ عَلَيْه بـ «وَأصْلحْ لي في ذُرّيَّتي» (الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٩٥)). أيْ ادْعُ لَهُ بالْهدَايَة وَالصَّلاَح، فَإنَّ دُعَاءَكَ لَهُ مُسْتَجَابٌ، كَمَا قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لا شَكَّ فيهنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُوم، وَدَعْوَةُ الْمُسَافر، وَدَعْوَةُ الْوَالد لوَلَده» (صحيح سنن ابن ماجه:٣١١٥).

ثُمَّ تَوَسَّلَ الدَّاعي إلَى رَبّه لقَبُول دُعَائه فَقَالَ: «إنّي تُبْتُ إلَيْكَ وَإنّي منَ الْمُسْلمينَ»: فَتَبَيَّنَ أنَّ الدُّعَاءَ لاَ يَصحُّ إلاَّ مَعَ التَّوْبَة، وَإلاَّ مَعَ كَوْن الدَّاعي منَ الْمُسْلمينَ.

قَالَ الرَّازي رَحمَهُ الله: اعْلَمْ أنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنْ هَذَا الدَّاعي أنَّهُ طَلَبَ منَ الله تَعَالَى ثَلاَثَةَ أشْيَاءَ:

أحَدُهَا: أنْ يُوَفّقَهُ الله للشُّكْر عَلَى نعَمه.

وَالثَّاني: أنْ يُوَفّقَهُ للإتْيَان بالطَّاعَة الْمَرْضيَّة عنْدَ الله.

الثَّالثُ: أنْ يُصْلحَ لَهُ في ذُرّيَّته.

وَفي تَرْتيب هَذه الأشْيَاء الثَّلاَثَة عَلَى الْوَجْه الْمَذْكُور وَجْهَان:

الأوَّلُ: أنَّا بَيَّنَّا أنَّ مَرَاتبَ السَّعَادَات ثَلاَثَةٌ، أكْمَلُهَا النَّفْسَانيَّةُ، وَأوْسَطُهَا الْبَدَنيَّةُ، وَأدْوَنُهَا الْخَارجيَّةُ، وَالسَّعَادَاتُ النَّفْسَانيَّةُ هيَ اشْتغَالُ الْقَلْب بشُكْر آلاء الله وَنَعْمَائه، وَالسَّعَادَاتُ الْبَدَنيَّةُ هيَ اشْتغَالُ الْبَدَن بالطَّاعَة وَالْخدْمَة، وَالسَّعَادَاتُ الْخَارجيَّةُ هيَ سَعَادَةُ الأهْل وَالْوَلَد، فَلَمَّا كَانَت الْمَرَاتبُ مَحْصُورَةً في هَذه الثَّلاَثَة لاَ جَرَمَ رَتَّبَهَا الله تَعَالَى عَلَى هَذَا الْوَجْه.

وَالسَّبَبُ الثَّاني: لرعَايَة هَذَا التَّرْتيب أنَّهُ تَعَالَى قَدَّمَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَمَل، لأنَّ الشُّكْرَ منْ أعْمَال الْقُلُوب، وَالْعَمَلَ منْ أعْمَال الْجَوَارح، وَعَمَلُ الْقَلْب أشْرَفُ منْ عَمَل الْجَارحَة، وَأيْضًا الْمَقْصُودُ منَ الأعْمَال الظَّاهرَة أحْوَالُ الْقَلْب، قَالَ تَعَالَى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » (طه: ١٤)، بَيَّنَ أنَّ الصَّلاَةَ مَطْلُوبَةٌ لأجْل أنَّهَا تُفيدُ الذّكْرَ، فَثَبَتَ أنَّ أعْمَالَ الْقُلُوب أشْرَفُ منْ أعْمَال الْجَوَارح، وَالأشْرَفُ يَجبُ تَقْديمُهُ في الذّكْر، وَأيْضًا الاشْتغَالُ بالشُّكْر اشْتغَالٌ بقَضَاء حُقُوق النّعَم الْمَاضيَة، وَالاشْتغَالُ بالطَّاعَة الظَّاهرَة اشْتغَالٌ بطَلَب النّعَم الْمُسْتَقْبَلَة، وَقَضَاءُ الْحُقُوق الْمَاضيَة يَجْري مَجْرَى قَضَاء الدَّيْن، وَطَلَبُ الْمَنَافع الْمُسْتَقْبَلَة طَلَبٌ للزَّوَائد، وَمَعْلُومٌ أنَّ قَضَاءَ الدَّيْن مُقَدَّمٌ عَلَى سَائر الْمُهمَّات، فَلهَذَا السَّبَب قَدَّمَ الشُّكْرَ عَلَى سَائر الطَّاعَات، وَأيْضًا أنَّهُ قَدَّمَ طَلَبَ التَّوْفيق عَلَى الشُّكْر، وَطَلَبَ التَّوْفيق عَلَى الطَّاعَة عَلَى طَلَب أنْ يُصْلحَ لَهُ ذُرّيَّتَهُ، وَذَلكَ لأنَّ الْمَطْلُوبَيْن الأوَّلَيْن اشْتغَالٌ بالتَّعْظيم لأمْر الله، وَالْمَطْلُوبُ الثَّالثُ اشْتغَالٌ بالشَّفَقَة عَلَى خَلْق الله، وَمَعْلُومٌ أنَّ التَّعْظيمَ لأمْر الله يَجبُ تَقْديمُهُ عَلَى الشَّفَقَة عَلَى خَلْق الله. (التفسير الكبير (٢٨/٢٠)).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

فتح القسطنطينية

الفتح الأول

إعداد/ **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى يكشف لرسوله صلى الله عليه وسلم من حُجُب الغيب ليرى بعين البصر والبصيرة ما لا يراه غيره، فيخبر أمته من أعلام نبوته من أنباء الغيب ما يُوحي الله به إليه عندما تكون الأمة في أشد الحاجة إلى ذلك، ومن هذا الغيب ما أخبر به صلى الله عليه وسلم يوم الخندق في غزوة الأحزاب « إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا » (الأحزاب: ١٠، ١١)، وفي تلك الأثناء يُبشر النبيُّ أصحابه بفتح الشام واليمن وفارس، ويُقسم بالله أنه يرى أمامه قصور الشام الحمر وأبواب صنعاء ومدائن كسرى، نعم يراها من مكانه وهو في عمق الخندق يكسر صخرات استعصت على الصحابة؛ ذلك ليزداد الذين آمنوا إيمانًا ويقولوا صدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا، وليقول الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا.

ومن علوم الغيب التي بشر بها النبيُّ أمته فتح القسطنطينية، وقد أخبر بذلك حين سُئل أي المدينتين يُفتح أولاً قسطنطينية أو رومية، فقال صلى الله عليه وسلم: «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعني قسطنطينية. والحديث رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة، وأورده العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤)، وعلق عليه قائلاً: "وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني، كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد ولتعلمن نبأه بعد حين".

ونحن اليوم بعون الله نتحدث عن الفتح الأول الذي تحقق فعلاً في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى عام سبعة وخمسين وثمانمائة من الهجرة الموافق ١٤٥٣/٤/٢٢م، وذلك الفتح الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «لتُفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش». (رواه أحمد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله ثقات). ذلك الفتح الذي اشرأبت إليه أعناق بني أمية وسيَّر إليها بنو أمية الجيوش، ومات الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، ودُفن تحت أسوار القسطنطينية، فما استطاع بنو أمية فتحها، وكذلك تأبت على بني العباس، ولعل الله سبحانه ادَّخر هذا الفتح لبني عثمان، ولهذا القائد الفتى الشاب الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وهو يقود أكبر دولة في العالم في ذلك الوقت، الدولة العثمانية الإسلامية الكبرى محمد بن مراد العثماني، والذي لُقِّب بعد ذلك بمحمد الفاتح، وكُني بأبي الفتح، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وسنحاول بعون الله أن نعيش في أجواء هذا الفتح في ذكراه بما ييسره الله لنا كما يلي:

أولاً: أهمية القسطنطينية ومكانتها:

هي عاصمة الدولة الرومانية خلال الفترة من ٣٣٥- ٣٩٥ ميلادية، وعاصمة الدولة البيزنطية من ٣٩٥- ١٤٥٣ حين فتحها المسلمون وسماها المسلمون حينها إسلام بول أو الآستانة وصارت عاصمة الدولة العثمانية، وهي الآن المعروفة بإستانبول، وكانت قبل فتحها العاصمة المقدسة

الكبرى لنصارى الشرق، وفيها أكثر تراثهم، وقد حوت كنائسها تماثيل أشهر رهبانهم وبطارقتهم، وموقعها بين آسيا وأوروبا جعلها من أفضل المدن موقعًا، حتى قيل: لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أفضل المدن تكون عاصمة لها، وقد امتنعت عبر العصور ببحارها المحيطة بها من ثلاثة جوانب وخنادقها المنيعة وتحصنت بحصونها العالية وقلاعها المتعددة، وقيل: إنها وحدها تساوي إمبراطورية كاملة وانها مفتاح العالم.

ثانيًا: الفاتح وإعداده الإعداد المناسب:

تذكر كتب التاريخ والسير أن محمد الفاتح حظي بتربية علمية ودينية وجسدية منذ نعومة أظفاره، فقد اهتم والده السلطان مراد الثاني بتدريبه على الفروسية منذ طفولته، فدربه على ركوب الخيل والرمي والمبارزة، وجعله يتربى على خيرة العلماء في عصره، ومنهم أحمد بن إسماعيل الكوراني، الذي قال عنه السيوطي: «إنه كان عالمًا فقيهًا شهد له علماء عصره بالتفوق والإتقان، بل إنهم كانوا يسمونه أبا حنيفة زمانه، وقد حفظ محمد الفاتح القرآن وهو صغير، ودرس التاريخ الإسلامي وأسهمت تربيته في تنشئته على حب الإسلام والعمل بالقرآن وحب العلم وتقدير العلماء، وقد تأثر الفاتح كذلك بالشيخ آمد شمس الدين سنقر، الذي كان أول من زرع حلم «فتح القسطنطينية» في ذهن الفاتح وقلبه حتى كبر الفتى وهو يصبو إلى تحقيق ذلك الحِلم، وما إن تولى محمد الثاني مهام السلطنة خلفًا لوالده مراد الثاني، حتى وضع فتح القسطنطينية نُصب عينيه.

ثالثًا: كيف أصبح الفتح ضرورة:

لما اتسعت رقعة الدولة العثمانية شرقًا وغربًا، كانت القسطنطينية في وسطها تفصل ممالكها الغربية عن ممالكها الشرقية، ولذا حاول خلفاء بني عثمان فتحها أكثر من مرة، وكان ملوكها ورهبانها يكيدون للدولة العثمانية ويدسون الدسائس، ويدبرون المكائد، ويؤوون كل خارج على الدولة العثمانية ويمدونه بالسلاح والمال والرجال، فاجتمعت هذه الأسباب بالإضافة إلى السبب الأساس الذي كان يراود السلطان الشاب دائمًا ويهفو إلى تحقيقه، فلما تولى عرش السلطنة محمد بن مراد بعد وفاة والده جعل رأس اهتمامه فتح تلك المدينة، فأشغل فكره بها وكرس جهده لها سياسيًا وعسكريًا.

رابعًا: الأسباب السياسية والعسكرية التي قام بها الفاتح:

١- بنى قلعة جبارة قبالتها.

٢- صالح الدول المجاورة لها حتى لا تهب بنجدتها.

٣- عقد هُدنة مع كل محاربيه ليتفرغ لها.

٤- بنى المدافع العملاقة لدَكّ حصونها.

٥- استحدث أساطيل بَرية ليغزوها من البر والبحر.

٦- ثم درس أسوارها من الداخل والخارج وأوضاعها وأوضاع أهلها، هذا بالإضافة إلى الإعداد النفسي والعسكري للجنود والذي سنراه في سير الأحداث.

خامسًا: سير أحداث الفتح:

توالت الأحداث كما يلي:

أ- لما رأى قسطنطين الخطوات الجادة لمحمد الفاتح تجاه فتح المدينة أرسل إلى السلطان يطلب الصلح، فطالبه السلطان بتسليمها بلا قتال، وله ولأهلها الأمن والأمان والعيش فيها أو غيرها بسلام، لكن الملك قسطنطين رفض هذا العرض، فعزم السلطان الفاتح على فتحها، وسار بجيش يقارب مائة وستين ألف مقاتل معهم خيولهم وعتادهم فضربوا الحصار على المدينة، وبداخلها ثمانمائة ألف نفس، منهم أربعون ألف مقاتل قد اصطفوا على أسوارها لحمايتها، واستمر الحصار ثلاثًا وخمسين ليلة، وكانت مدافع المسلمين تدكّ أسوار القسطنطينية باستمرار، بينما كان النصارى يستميتون في الدفاع عن مدينتهم ويفشلون محاولات المسلمين بكثير من الإصرار، وبرغم ما قام به الملك قسطنطين من قتل مائتين من المسلمين المقيمين بالقسطنطينية وتعليقهم على أعواد المشانق حول أسوار المدينة، إلا أن كل ذلك لم يثن عزيمة المسلمين عما عزموا عليه.

ب- ومع طولِ الحصار بدأت المؤنة تنفذ من المدينة، وأخذ أهلها الجهد والتعب من هذا الحصار المحكَم، وعزم السلطان على الاقتحام العام، لما أحسَّ أن الوقت قد حان، فأرسل إلى قسطنطين يطالبه بالتسليم قبل الهجوم العام وله وللنصارى معه الأمن على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم وديارهم، ومن أراد منهم الرحيل منها رحل، ومن أراد البقاء

بقي فيها آمنًا.

ج- موقف الملك قسطنطين:

كان قسطنطين ملكًا شجاعًا متدينًا يعلم ما لهذه المدينة من تاريخ وتقديس عند النصارى، فآثر أن يموت فيها على أن يهرب منها، أو يسلمها للمسلمين، فردَّ على السلطان قائلاً: إنه أقسم أن يدافع عنها إلى آخر نفَس في حياته، فإما أن يحتفظ بعرشها، أو يُدفن تحت أسوارها، فلما بلغ السلطان مقالة قسطنطين ازداد إصرارًا وعزمًا، وقال: «حتمًا عما قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش، أو يكون لي فيها قبر».

د- الاستعداد للهجوم العام:

وقبل الهجوم العام بيومين وكان يوم أحد، أمر السلطان جنده بالصيام لله تعالى تطهيرًا للنفوس، وتقوية للعزم والإرادة، وفي مساء ذلك اليوم أمر جنده بإضرام النيران العظيمة؛ ليرهب النصارى، وظل المسلمون طيلة الليل يذكرون الله تعالى ويكبرون بأصوات عالية، وصارت أصواتهم تتصاعد إلى السماء: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وفي يوم الاثنين ترك السلطان جنوده يرتاحون وبدأ يخطط للهجوم، ثم عبأ جنوده في ليلة الثلاثاء وأمر العلماء والمشايخ والخطباء أن يحشدوا الجند للقتال ويذكروهم بفضل الجهاد وفضل الشهادة في سبيل الله، وخطب فيهم السلطان خطبة ذكَّرهم فيها بفضل هذا الفتح على وجه الخصوص، وسيكون من حظ الجند ما أشاد به النبي صلى الله عليه وسلم على أصحاب هذا الفتح وتتحقق فيهم إحدى معجزاته، وسيساهم هذا الفتح في نشر الإسلام بين الناس، وحذرهم من أن يصدر منهم أمرٌ ما يخالف تعاليم الإسلام ويجتنبوا الكنائس والمعابد فلا يمسوها بسوء، وكذلك يتركوا القسس والضعفاء والذين لا يقاتلون، وفي مقابل ذلك دقت أجراس الكنائس واجتمع النصارى وخطب فيهم الملك قسطنطين وذكرهم بأمجادهم وأمجاد آبائهم، وطلب منهم الثبات والدفاع عن مدينتهم التي هي مَلكة المدن، ثم أعلن أنه سيدافع حتى الموت.

هـ- الهجوم العام والفتح العظيم:

وفي الليلة الموعودة ليلة الثلاثاء وقبل منتصف الليل نزل من السماء مطر خفيف، وفي الساعات الأولى من الصباح التقى الجيشان وتصاعدت التكبيرات مدوية مجلجلة من البر والبحر وانطلق المسلمون يتسلقون الأسوار والمدافع تضرب وحمي الوطيس واستمرت المدافع ساعات تدوي وتتحرك السفن في البحر والقتال على أشده في البحر والبر، فما برح قسطنطين حتى رأى أعلام المسلمين ترفرف على قلاع القسطنطينية وأسوارها وجنوده تفر من أمام المسلمين، فأخذ يقاتل ذات اليمين وذات الشمال، حتى خر صريعًا من ضربة من أحد المسلمين المقاتلين، وقُضي الأمر.

وهكذا أتم الله نصره وفتحه على عبدٍ من عباده الصالحين، ودانت له المدينة التي استعصت على غيره، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

سادسًا: ماذا بعد الفتح:

خاف النصارى من سكان المدينة وفزعوا في أول الأمر؛ لأنهم ظنوا أن يفعل بهم المسلمون مثل الذي فعله بهم الصليبيون لما دخلوا القسطنطينية في الحملة الصليبية الرابعة، إذ استباحوا الحرمات وأمعنوا في قتل الناس ونهب الأموال وهتك الأعراض، وقالوا في أنفسهم: هذا ما فعله بنا من هم على ديننا مع اختلاف المذاهب، فكيف بمن يخالفوننا في الدين، يقصدون المسلمين، ولكن حدث خلاف ما توقعه النصارى؛ إذ توجه السلطان الفاتح عند الظهيرة على ظهر جواده يحفُّ به كبار قادته وهنأ جنده بالنصر ونهاهم عن القتل والسلب وأوصاهم بأن يكونوا أهلاً لهذا الشرف والمجد بأخلاقهم الكريمة، فلما توسط المدينة نزل عن جواده واستقبل القبلة، وسجد لله شكرًا وتواضعًا لله على توفيقه، ثم أعلن الأمن والأمان لجميع النصارى وأمرهم بالعودة إلى بيوتهم في أمن وأمان، والعودة إلى أعمالهم دون خوف على أنفسهم أو أعراضهم وأموالهم، فنزل هذا التأمين بردًا وسلامًا عليهم وأمر بمداواة الجرحى من النصارى ودفن الموتى، ودفن قسطنطين في مقبرة الملوك، وقد قال المؤرخون: «إن السلطان الفاتح قد حنَّ على أهل القسطنطينية حنو الوالد المشفق على ولده».

وللحديث بقية، فإلى لقاء بعون الله ومشيئته.

الفكر الإسلامي

إعداد/ **د. أحمد منصور سبالك**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

انتهينا أيها القراء الكرام في مقالنا السابق بسؤال، ألا وهو: هل يسوغ أن يكون الوحي مجالاً للفكر يقبل القبول والرفض؟!

وهذا السؤال هو السؤال الواقعي في هذه الفترة التي نعايشها الآن، حيث الضرب في ثوابت الدين، حتى وصل الأمر للطعن في الوحي؛ بحجة «الفكر».

فلا يخفى عليكم أن الدين ترقية للنفوس وتربية للعقول، وإصلاح للأعمال الظاهرة والأخلاق والعقائد والشرائع، والقرآن قد تكفل بكل ذلك بأحسن ما يكون، وكل تلك الأعمال متصل بعضها ببعض، وبجميعها تحصل التزكية، وهي الغاية والمطلوب.

وهذا كان ولا يزال سببًا في نشأة ثلاثة علوم: علم الأخلاق والمواعظ، وعلم الكلام، وعلم الفقه، وإذ جعل علم التأويل مقصورًا على الفقه، بقي علم الأخلاق والكلام بعيدين عنه، فلا تجده مستعملاً فيهما.

أما علم الأخلاق فاتسع بأهله حتى تشبثوا بكل ما راقهم وأعجبهم، فمنهم من يبنيه على الحكمة العملية التي تلقوها من الفلاسفة، ومنهم من يعتمد على تجاربه، ومنهم من يبنيه على الروايات الضعيفة، وربما يأخذون من القرآن حسب تأويلاتهم الركيكة، وذلك لظنهم بأنه لا حاجة إلى صحة الاستدلال في الترغيب والترهيب ومدح الحسن وذم القبيح.

ومنهم طائفة من المتصوفة تكلموا في العقائد يؤولون القرآن إلى ظنونهم، لجهلهم بالعربية وبحقيقة هذا الدين، ويزعمون أنهم أعرف بالقرآن وأسراره.

وأما علم الكلام فأصحابه قلَّ اعتمادهم على النقل، وكان معظم احتجاجهم بما تحتج به العقول لكي يسلم لهم الخصوم، وربما يؤولون القرآن إلى غير مراده فرارًا من اعتراضات المعاندين؟ إذ لم يهتدوا إلى صحيح التأويل وموافقة المعقول بالعقول، وجعلوا للتأويل أبوابًا يخرجون منها؟ إذ لم يمكنهم الدفاع على وجه صحيح، حتى قال بعضهم- كالرازي عفا الله عنه-: «إنه لا اعتماد على ظاهر القرآن؟ لعله يكون من المتشابهات».

فجعل القرآن كله ملتبسًا، ولم يكن ذلك إلا لعدم تأسيس أصول التأويل العامة التي يُعتمد عليها في كل ما يُستنبط من القرآن. فإن جُعل القرآن أصلاً لتمام علم الدين- كما هو في الحقيقة- صار الواجب أن تؤسس أصول للتأويل، بحيث تكون علمًا عامًّا يؤخذ من القرآن.

وعند الحديث عن القرآن تدخل السنة فيه ضمنًا لأنهما وحي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم.

فالوحي الشريف- كتاب وسنة- تضمَّن من الحكمة والمعارف ما لا يُحيط به إلا الله تعالى، فمن الخلل الفاحش والخطأ في تأويله حمل ظاهره على معتقد سابق، والأصل العكس، إذ تأويل المعتقد السابق ليكون موافقًا للوحي، هذا هو الأصل، أو النظر مرة أخرى في الوحي لعل الله تعالى يهدي إلى التوفيق.

الأصول الأولية لفهم الوحي

قالوا قديمًا: إن الفهم يتطلب أحد أمرين، أو الأمرين معًا:

١- السياق اللغوي للوحي.
٢- فهم الأوائل له.

فالأصول الأولية لفهم الوحي التمسك بنظم الكلام وسياقه، والمعنى الشاذ لا يُلتفت إليه، وفهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير، ومنه حمل الوحي على الوحي مع معرفة أوجه الكلام ولهجته من الرأفة والزجر والغضب والوعد والوعيد... إلخ.

ثم الأخذ بأحسن الوجوه وهو ما كان أولى بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق، وأوضح لدى القلوب، وأوفق بمحكمات القرآن، وأحسن ظنًا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأظهر بيانًا من محكمات اللغة العربية.

فالأسلم لإدراك سليم: عرض الوحي على الوحي، القرآن على السنة، والسنة على القرآن، ثم فهم من نزل بينهم الوحي، لسليقة اللغة عندهم مع معاصرة التنزيل، فهم أوفى وأفهم لمقاصده، ولهذا انعقد الإجماع على أن أسلم التفاسير التفسير بالمأثور.

الاعتداء على قداسة الوحي

أما فكرة الثنائية الجدلية: الوحي والعقل، أو النص والاجتهاد، وفتح باب الفكر المذموم لأصحاب الحداثة والتغريب، وذلك بعد أن حقق الإسلام تقدمًا ملموسًا على العالم بأسره، فيحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يجعلوا مصطلح التراث الإسلامي شاملاً لنصوص الوحي، ثم يخلعوا عن هذا المصطلح صفة القداسة، ومن ثَمَّ تُخلع صفة القداسة عن الوحي باعتباره داخلاً في مصطلح التراث.

ثم يُخضعون هذا الوحي للدراسة على أنه مصدر ليس إلهيًا وليس مقدسًا، ومن ثَمَّ يمكن أن يقولوا فيه ما يقولون في غيره من الأعمال البشرية، من نقد وتخطئة وغير ذلك، وهم بذلك يفتحون جبهة جديدة في الصراع مع قداسة الوحي.

صحيح أنه قامت قديمًا محاولات للنيل من قداسة الوحي، كانت على استحياء مع التسليم بطابع القداسة والربانية، إلا أن الاتجاه الجديد يُريد أن يلغي هذا الطابع من الوحي، لينطلق في هجومه على الإسلام بكل ما يملك، وحتى لا يقف أمامه عائق.

ويبدو أن هذه المرحلة لم يَعد يفيد فيها التستر؛ لأن الصراع وصل إلى نهايته، وأصبحت المعركة بين الإسلام وخصومه معركة حياة أو موت، وذلك بعد أن فقد الفكر التغريبي كثيرًا من مواقعه، نتيجة انقشاع الغشاوة التي كانت تُغطي الأعين وتمنعها من رؤية الحقيقة الناصعة.

وهذا يفرض لأصحاب الفكر السليم الصحيح أن يُشمروا لفضح هذا الاتجاه، وأن يظهروا مقاصده التي يُخفيها في نفسه من وراء هذا الطرح، والذي يُحاول إضفاءه تحت ستار (العلمية)، و(الموضوعية)، و(عدم الحجر على الفكر).. إلخ.

والمضحك أنهم يلقبونه بالإسلامي.. سبحان الله تعالى!!

وأنتم ترون كيف أصبح الواقع المعاصر بهذه المصطلحات شديد التعقيد والتشابه، الأمر الذي يفرض على العلماء دراسة تفصيلية لهذا الواقع وكيف نشأ، وكيف يتطور، وما هي العوامل التي تؤثر فيه، وكيف يُمكن فرز خيوطه، والتعرف على نسيجه، ثم كيف يُمكننا أن نسير به في طريق التطوير والتطويع ليكون قابلاً ومنسجمًا مع شرع الله تعالى في الانقياد لوحيه الشريف- قرآنًا وسنة-.

هذا، ونسأله سبحانه أن يثبتنا على دينه، وإلى لقاء آخر، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين

الحلقة الثانية

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد التقينا في الحلقة السابقة مع حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من رواية شيخ المحدثين الإمام البخاري وغيره من المحدثين رحمة الله على الجميع، ونصه:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عُرضت عليَّ الأمم فأجد النبي يمر معه الأمة، النبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده؛ فنظرت فإذا سوادٌ كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت ولمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون)، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (اللهم اجعله منهم)، ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (سبقك بها عكاشة).

وتناولنا في الشهر السابق ما تيسر من الحديث تخريجًا وشرحًا، وإشارة إلى بعض الفوائد حتى انتهينا إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «وعلى ربهم يتوكلون»، ثم ها نحن قد قدر الله لنا اللقاء للوقوف على بعض فوائد هذه العبارة النبوية الشريفة؛ إذ إن ظاهرها أنها الصفة الرابعة من صفات أولئك الأخيار المبشرين- بعد كونهم لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون-.

وقلت: ظاهرها؛ لأنه يحتمل أن تكون هذه الجملة مفسِّرة لما تقدم من ترك الاسترقاء والاكتواء والطِّيَرة، فتكون من العام بعد الخاص، أو تكون صفة مستقلة بذاتها، وعلى أية حال فقد أسهب العلماء في التذكرة بالتوكل على الله ومعناه، والصلة بينه وبين الإيمان أصله وكماله بما لا يُستغرب على المتصف به أن تكون جائزته الإكرام من الله بهذه البشرى العظيمة.

معنى التوكل:

وحقيقة التوكل كما قاله الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم تحقيق الأرناؤوط (٤٩٧/٢):

هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضارّ من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه. قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان. وقال وهب بن منبه: الغاية القصوى التوكل. قال الحسن: إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته. وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله» (أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي) انتهى.

فمن أراد أن يعيش قويًا فليتوكل على القوي المتين، ومن أراد الضعف والهوان فليتوكل على مَن خُلق من طين.

علاقة التوكل بالإيمان:

ومن تعريفه تتضح علاقة التوكل بالإيمان؛ فالمتوكل على الله اعتمد قلبه على الواحد الأحد في كل شيء في الدنيا والآخرة، ومن

هذه حاله بحق يفرد ربه بالعبادة معرفةً وإثباتًا لربوبيته وأسمائه وصفاته وقصدًا وطلبًا لألوهيته بعبادته فلا يشرك مع ربه غيره، فهو الذي تخلص له النيات والأقوال والأفعال في سائر الأحوال فلا تتوجه إلا إليه ولا يُقصد بها أحد سواه، من أجل هذا ليس عجبًا أن يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: «وَعَلَى اللَّه فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: « قال: فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، (فإن تقديم المعمول يفيد الحصر؛ أي: وعلى الله فتوكلوا لا على غيره)، وكلما قوي إيمان العبد؛ كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان؛ ضعف التوكل، فإذا كان التوكل ضعيفًا؛ كان دليلاً على ضعف الإيمان ولا بد، والله تعالى في مواضع من كتابه يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية؛ فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان لجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد؛ فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن؛ فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل « (ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص: ٤٢٨).

وعليه فالتوكل على الله من أعلى مقامات اليقين، وأشرف أحوال المقرَّبين، وهو نظام التوحيد وجماع الأمر، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، وهو مفتاح كل خير؛ لأنه أعلى مقامات التوحيد وعبادة لا تكون إلا للمعبود جل شأنه.

وفي «طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٣٥، ٣٣٦)، قال ابن القيم: «إن التوكل يجمع أصلين: علم القلب، وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وأما عمله فسُكونه إلى وكيله وطُمَأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمرَه إليه، ورضاه بتصرُّفه له فوق رضاه بتصرُّفه هو لنفسه».

ومن تتبع آيات الكتاب أبصَر بعين قلبه ارتباط التوكل بالإيمان فتتبعها رحمك الله، ولعل من أولها «وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (المائدة: ٢٣)؛ إذ جعل التوكل شرطًا للإيمان ثم تجد من الآيات: «قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا» (الملك: ٢٩)، «إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (هود: ٥٦)، «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ» (الفرقان: ٥٨)، وقوله تعالى: «قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ» (الرعد: ٣٠)، وقوله جل وعلا: «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (آل عمران: ١٢٢).

علاقة التوكل بالقضاء والقدر:

إن القضاء والقدر والتوكل من أصول الإيمان، والقضاء والقدر أسبق وأعم من التوكل، والتوكل داخل في الإرادة الشرعية والقضاء والقدر داخل في الإرادة الكونية.

ولا يحصل التوكل حتى نؤمن بالقضاء والقدر، لذا تجد من الآيات التي تعلمنا الإيمان بالقضاء والقدر ذيَّلها رب العزة بالتوكل عليه كما قال تعالى: «قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (التوبة: ٥١).

عوائق التوكل:

ولما كان التوكل من الإيمان فإن عوائق التوكل هي عوائق الإيمان ومن ذلك إجمالاً: الجهل بمقام الله من ربوبية وألوهية، وأسماء، والركون للخلق والاعتماد عليهم في قضاء الحاجات، فإن زادت العوائق حتى لفتت قلب العبد عن المسبب إلى السبب صارت قادحة في التوكل كقدحها في الإيمان، ومن ذلك تعلق القلب بغير الله تعالى.

وعلى ما سبق بيانه فتحقيق التوكل يكون

بتحقيق الإيمان.

بشرى المتوكلين:

والمتوكلون على الله وعدهم الله ببشريات تجدها في كتاب الله كثيرة فتتبعها رحمك الله منها: الكفاية من الله: «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (الطلاق: ٣).

والمحبة كما في قوله تعالى: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران:١٥٩).

وجوائز أخرى كقوله تعالى: «وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (الشورى: ٣٦).

وقوله تعالى «نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (العنكبوت: ٥٨- ٥٩)، ثم بشارة النصر والتمكين قال تعالى: «إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (آل عمران: ١٦٠).

ثم هو من أهم أسباب الرزق التي تشغل كثيرًا من الناس، فعن عمر- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أنكم توكلون على الله حقَّ توكله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا وتروح بطانًا» (أخرجه الترمذي والحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي وغيرهم).

فكل الخيرات والعواقب الحسنة قد جمعها الله تعالى لهم.. وحسبك الكفاية من الله بعد تحقيق الإيمان.

فهم السلف:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)، وقوله: «ونعم الوكيل»؛ أي: نعم الموكول إليه؛ كما قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ» (الحج: ٧٨).

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «هو حسب من توكَّل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن الخائف، ويُجير المستجير، فمن تولاه واستنصر به، وتوكَّل عليه، وانقطع بكُليَّته إليه، تولاه وحفظه، وحرسه وصانه، ومن خافه واتَّقاه، أمَّنه مما يخاف ويَحذَر، وجلَب إليه ما يحتاج إليه من المنافع».

وقال رحمه الله: «ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوِّه، ولا يضره إلا بأذى لا بد منه- كالحر والبرد، والجوع والعطش- وأما أن يضرَّه بما يبلغ به مراده، فلا يكون أبدًا، فلو توكَّل العبد على الله حقَّ توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهنَّ، لجعَل الله له مخرجًا، وكفاه رزقه ونصره». (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص: ٤٣٣).

وقد دق توكُّل السلف على ربهم في أمور حياتية عجيبة، ومنه أن عامل إفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام (دواب الأرض المؤذية)- والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: «وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ» (إبراهيم: ١٢)، قال أبو زُرعة: وهي تنفع من البراغيث. (التوكل على الله عز وجل لابن أبي الدنيا: ٢/ ٢١٩).

مراتب التوكل:

والمتوكلون على الله على مراتب؛ فمنهم الزاهدون الصابرون، ومنهم الراضون الصادقون، ومنهم المحبون لقضاء ربهم؛ كما قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٩): (قال ابن أبي الدنيا: بلغني عن بعض الحكماء قال: التوكل على ثلاث درجات: أولها: ترك الشكاية، والثانية: الرضا، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضا سكون القلب بما قسَم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبُّه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين. انتهى.

وفي هذا القدر الكفاية، وللبحث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

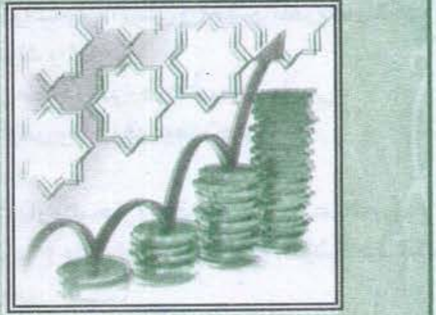

باب الاقتصادي الإسلامي

عوامل الإنتاج في النظام الاقتصادي الإسلامي

إعداد/ **د. حسين حسين شحاتة**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يتكون النظام الاقتصادي الإسلامي من عدة عناصر (عوامل) مترابطة ومتكاملة ومتفاعلة، تعمل وفقاً لمجموعة من الأسس المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية والتي تضبط السلوك الاقتصادي للإنسان، لتحقيق غاياته المادية والمعنوية وهي عبادة الله عز وجل وعمارة الأرض.

وتتمثل عوامل الإنتاج في النظام الاقتصادي الإسلامي في: الموارد الطبيعية والعمل (الموارد البشرية) والمال، ويتفاعل الإنسان مع الموارد الطبيعية برشد لينجم عن ذلك السلوك الاقتصادي للإنتاج القائم على تحقيق المنفعة، وبالتالي يحدث الإنفاق بأنواعه وهي الإنفاق الاستهلاكي والاستثماري والصدقي، لأن الإنتاج الكلي يساوي الإنفاق الكلي، وسوف نتناول في هذا العدد المسائل الآتية:

الإطار العام لهيكل النظام الاقتصادي الإسلامي:

يقصد بالنظام الاقتصادي الإسلامي في هذا المقام بأنه إطار عام يتضمن مجموعة من العناصر المترابطة والمتكاملة والتي تتفاعل سوياً لتفعيل العملية الإنتاجية لتحقيق غاية الإنسان العليا المشروعة وهي عبادة الله تعالى، والتي تشمل فرض عمارة الأرض لتحقيق مستوى معيشي كريم لأفراد المجتمع، عن طريق إشباع الحاجات الأصلية مادية ومعنوية (تمام الكفاية)، وفقاً لمجموعة من الأسس والضوابط الشرعية التي تضبط السلوك الاقتصادي للإنسان لتحقيق هذه الغاية.

وتتمثل المعالم الأساسية لهيكل النظام الاقتصادي الإسلامي في ضوء المفهوم السابق في الآتي:

- يعبر النظام الاقتصادي الإسلامي عن الجوانب التطبيقية، حيث يرتكز على مجموعة من الأسس الثابتة وقابل للتغيير في التطبيق حسب الظروف.

- يتكون النظام الاقتصادي الإسلامي من عناصر مترابطة ومتكاملة تتعلق بعوامل الإنتاج، ومن أهمها: الموارد الطبيعية والعمل والمال، وما سخره الله من نعم أخرى ظاهرة

وباطنة لإنتاج الحلال الطيب للمخلوقات.

- يضبط التفاعل بين عوامل الإنتاج والسلوك الاقتصادي للإنسان مجموعة من الأسس والضوابط (المعايير) المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية والتي يطلق عليها «فقه الاقتصاد الإسلامي».

- يحدد القوى المنتجة عن طريق الوسائل العملية التي تحكم عملية الإنتاج، أي ما هي الموارد التي يتعين استخدامها؟

- يتضمن النظام الاقتصادي الإسلامي مجموعة من المبادئ والأساليب التي يمكن من خلالها تخصيص الموارد الاقتصادية، والملكية في المجتمع.

ويقسم جمهور فقهاء وعلماء الاقتصاد الإسلامي عوامل الإنتاج إلى ثلاثة عوامل رئيسة هي:

١- الموارد الطبيعية: وهي الموارد التي سخرها الله تعالى للمخلوقات، وليس للإنسان يد فيها، وتزداد قيمة هذه الموارد باستخراج الإنسان لها للاستفادة منها، وهي تشمل كل مورد يمكن أن يُقوَّم بمال، وعندما تقترن الموارد بالعمل تتحول هذه الموارد إلى إنتاج ويُقوَّم بالمنفعة.

٢- العمل (الموارد البشرية): والذي يتمثل في الطاقة الذهنية والعضلية للعامل، وكذلك ما علمه الله من المعارف وما منحه من الخبرات المكتسبة اللازمة لعملية الإنتاج.

٣- المال: وهي الموجودات التي يتملكها الإنسان ويجوز الانتفاع منها شرعاً، سواء كان قيمياً أو مثلياً، أو كان عقاراً أو منقولاً، أو كان عيناً أو نقداً، أو ثابتاً أو متداولاً ونحو ذلك.

ويتم تفاعل هذه العناصر مع بعضها لإنتاج المنتجات والخدمات الطيبة التي يحتاجها الإنسان وفقاً للأولويات الإسلامية وهي الضروريات والحاجيات والتحسينات.

وسوف نتناول هذه العوامل بشيء من التفصيل في الأعداد التالية.

الموارد الطبيعية في النظام الاقتصادي الإسلامي

مفهوم الموارد الطبيعية:

يقصد بالموارد الطبيعية في النظام الاقتصادي الإسلامي الموارد الموجودة في الطبيعة، وتشمل كل الموارد التي يمكن تقييمها بالمال، الظاهر منها والباطن، الجلي والخفي، المعروف والمجهول، المملوك والمباح.

ومن مصادر الموارد الطبيعية ما يلي:

- الأرض وما فوقها وما تحتها.
- المياه.
- الأنهار والبحار وما تزخر به من عوالم حية.
- الرياح والعوامل الخارجية المؤثرة في قشرة الأرض.
- الموارد الأخرى الظاهرة والباطنة التي يعلمها الإنسان والتي لا يعلمها...

الموارد الطبيعية في القرآن الكريم:

لقد ذكرت الموارد الطبيعية في القرآن الكريم في العديد من الآيات منها:

يقول الحق تبارك وتعالى: «وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النحل: ١٢-١٨).

ويقول الحق تبارك وتعالى: «تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» (الإسراء: ٤٤).

ويقول تبارك وتعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ» (الأنعام: ١٤١) ويقول تبارك وتعالى: «وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ» (الأنبياء: ٣٢).

ويقول تبارك وتعالى: «وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ » **(الحجر: ٢٢)**، **ويقول تبارك وتعالى:** «أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ » **(يس: ٧٢- ٧٣)، ويقول تبارك وتعالى:** « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » **(الروم: ٤٦)**.

ويقول تبارك وتعالى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » **(فصلت: ٣٩)، ويقول تبارك وتعالى:** « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » **(الجاثية:١٣) ويقول تبارك وتعالى:** «هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » **(الملك: ١٥)**.

قضية الندرة في الاقتصاد الإسلامي:

تشير الآيات السابقة إلى حقيقة، وهي أن نعم الله عز وجل لا تحصى، لأن بعضها لم يكتشف بعد وأنه كلما يكتشف العلماء على اختلاف تخصصاتهم موردا طبيعيا ويظنون أنه سوف ينفد وتقع البشرية في كارثة، يهدي الله الإنسان لاكتشاف مورد آخر، ومن أبرز الأدلة على ذلك بعد اكتشاف الفحم وظن العلماء أنه سوف ينتهي وتقع البشرية في كارثة، ظهر النفط وظهرت الطاقة النووية والاهتمام بأبحاث الطاقة الجديدة والمتجددة، ولذلك لا يوجد في الاقتصاد الإسلامي ما يسمى بالندرة المطلقة، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بعدة أوامر للحصول على الرزق أو مستلزمات الحياة، من أهمها ما يلي:

١- السعي والضرب في الأرض لاكتشاف أرزاق الله التي لم تعرف بعد، ودليل ذلك قول الله عز وجل: « هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ »**(الملك: ١٥)**.

٢- الهجرة من مكان إلى مكان، فكل ما على الأرض لأهل الأرض من مخلوقات، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى: «وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً » **(النساء: ١٠٠)، وقوله عز وجل:** «قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا » **(النساء: ١٠٠)**.

٣- المحافظة والرشد في استخدام الموارد الطبيعية بدون إسراف أو تبذير أو تبديد، ويقصد بالرشد في هذا المقام الاستغلال الأفضل الذي يتولد عنه أقصى نفع ممكن مصداقا لقول الله عز وجل: «يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » **(الأعراف: ٣١- ٣٢)**.

٤- استخدام العلم لتعظيم المنافع من الموارد الطبيعية، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، وعندما يأخذ بالأسباب التي قدرها الله ويتوكل عليه يوسع الله في الأرزاق، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ » **(فاطر: ٢٧- ٢٨)، ويقول الحق تبارك وتعالى:** « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ » **(الروم: ٢٢)**.

الضوابط الشرعية لاستغلال الموارد الطبيعية:

لقد تضمنت الشريعة الإسلامية مجموعة من الضوابط الواجب الالتزام بها عند التعامل مع الموارد الطبيعية. من أهمها ما يلي:

١- الايمان بأن هذه الموارد ملك لله سبحانه وتعالى، وللأفراد حق ملكية الانتفاع. ويجب عليهم عند الانتفاع بها أن يلتزموا بشريعة المالك الحقيقي لها وهو الله. أي الالتزام بضابط مشروعية المنفعة.

٢- لا يجوز تعطيل هذه الموارد. ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: « قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ » **(يونس: ٥٩)**،

وعن سفيان بن سعيد عن يحيى بن سعيد: أن رجلاً كان بينه وبين الماء أرض لرجل فأبى صاحبها أن يدعه يرسل الماء في أرضه، قال: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « لو لم أجد للماء مسيلاً إلا على بطنك لأجريته » (الخراج يحيى بن آدم القرشي صفحة ١١٠)، وأساس ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» (رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما)، كما ورد عن عمر بن الخطاب أنه أخذ أرضاً من صحابي لا يستغلها، وأعطاها لغيره ليستغلها، أي الالتزام بعدم تعطيل الموارد.

٣- لا يجوز الإسراف في استخدام هذه الموارد، حتى لا يؤدي إلى تقليل المنافع منها أو أن نستخدمها في غير ما خُصصت له، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد؟ فقال: أفي الوضوء سرف قال: «نعم وإن كنت على نهر جار» (متفق عليه)، فإذا كان الرسول صلى اللهَ عليه وسلم قد نهى عن الإسراف في الماء الجاري ففي هذا دلالة على وجوب عدم الإسراف في كل شيء وفي الموارد الطبيعية، ويؤكد ذلك حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة » (رواه ابن ماجه).

٤- الاستغلال الرشيد للموارد الطبيعية وصيانتها، ودليل ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحيا أرضاً ميتةً فهي له» (رواه البخاري).

٥- تجنب احتكار المنفعة العامة لبعض الموارد الطبيعية العامة ولكن تترك ملكيتها مشاعاً للجميع، ويدل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس شركاء في ثلاث الكلأ والماء والنار» (رواه أحمد وأبو داود)، ويؤكد هذا الحديث على نقطة هامة وهي أنه لا يحق لأحد احتكار هذه الموارد الطبيعية ولكن تترك مشاعاً ذات منفعة عامة لكل الأجيال تحت إشراف الدولة.

٦- الالتزام بالأولويات الإسلامية عند استغلال الموارد الطبيعية، وهي:

(أ) الضروريات: وهي ما تقوم عليه حياة الناس.

(ب) الحاجيات: وهي ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة.

(ج) التحسينات: وهي ما تتعلق بتحسين حياة الناس.

وهذا يوجب على الأفراد والوحدات الاقتصادية بما لها من سيادة وسلطان استخدام الموارد الطبيعية في إنتاج الطيبات، وتعطى أولويات خاصة للمشروعات التي تحقق المقاصد الشرعية، والتي حددها فقهاء المسلمين في حفظ وصيانة الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

وتأسيساً على ذلك لا يجوز توجيه الموارد الطبيعية فيما يعرِّض هذه المقاصد الشرعية للهلاك والضرر مثل إنتاج الخمور والمخدرات والأسلحة التي تعرِّض الإنسان للهلاك، وانتاج أو إنشاء المؤسسات التي تساعد على الفساد مثل الأفلام الخليعة والهدامة، مثل إنشاء دور السينما والملاهي السيئة.

٧ - تجنب تبديد الموارد بدون منفعة معتبرة شرعاً، لأن ذلك من أساليب الإفساد في الأرض، فمن وصايا صالح عليه السلام لقومه: «فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ » (الأعراف: ٧٤)، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل عصفور عبثاً فقال: « من قتل عصفور عبثاً عَجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة » (رواه النسائي وابن حبان)، وقال صلى الله عليه وسلم: «من قطع سدرة (شجرة) صوَّب الله رأسه في النار» (رواه أبو داود).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

الحلقة (٥٧)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٥٠٩- «اطووا ثيابكم ترجع إليها أرواحها، فإن الشيطان إذا وجد ثوبًا مطويًا لم يلبسه، وإذا وجده منشورًا لبسه».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (٣٢٨/٦) (ح٥٦٩٨) من طريق عمر بن موسى عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا، وقال: «لم يروِ هذا الحديث عن أبي الزبير إلا عمر بن موسى بن وجيه، ولا يُروى عن رسول الله إلا بهذا الإسناد». اهـ. قال الهيثمي في «المجمع» (١٣٥/٥): فيه عمر بن موسى بن وجيه؛ وضَّاع، وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٣٣/٦): «سألت أبي عن عمر بن موسى الوجيهي فقال: متروك الحديث، ذاهب الحديث، كان يضع الحديث». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٩/٥) (١١٨٧/٢٢٠): «عمر بن موسى بن وجهي الوجيهي هو في عداد من يضع الحديث متنًا وإسنادًا». اهـ.

وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٤٦٣): «متروك الحديث». اهـ.

٥١٠- «مَن حمل بضاعته بيده فقد برئ من الكبر».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٩/٥) من حديث عمر بن موسى عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عمر بن موسى الوجيهي، متروك، ذاهب الحديث كان يضع الحديث كما بينا آنفًا.

٥١١- «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب المؤدب إلاَّ بالدُّرة».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١١/٥) من حديث عمر بن موسى الوجيهي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا، وعلته عمر بن موسى الوجيهي متروك ذاهب الحديث، كان يضع الحديث كما بينا آنفًا.

٥١٢- «أحيوا قلوبكم بقلة الضحك، وقلة الشبع، وطهِّروها بالجوع تصفو وترقى».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٨٢/٣) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٥١٣- «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلى تحت شجرة مثمرةٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٢/٥) من حديث عمر بن موسى

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا، وعلته عمر بن موسى الوجيهي وهو متروك ذاهب الحديث، كان يضع الحديث كما بينا آنفًا.

٥١٤- «من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٨٢/٣) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٥١٥- «إنَّ الله عز وجل إذا غضب أنزل الوحي بالعربية، وإذا رَضِيَ أنزل الوحي بالفارسية».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٠/٥) من طريق عمر بن موسى بن وجيه عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عمر بن موسى الوجيهي يضع الحديث متنًا وسندًا كما بينا آنفًا.

وقد أخرجه الحافظ ابن الجوزي في «الموضوعات» (١١١/١) من طريق الحافظ ابن عدي وبيَّن أنه حديث باطل.

٥١٦- «أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: المُحسن، والمُحبُّ له، والكافُّ عنه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٩٤/٣) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً».

٥١٧- «الأكلُ في السوق دناءةٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦٣/٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وعلته محمد بن الفرات، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٨١/٢): «محمد بن الفرات كان ممن يروي المعضلات عن الأثبات حتى إذا سمعها مَن الحديث صناعته علم أنها موضوعة لا يحل الاحتجاج به، وقال يحيى بن معين: محمد بن الفرات ليس بشيء فلا بد من الرجوع إلى أقوال هؤلاء الأئمة خاصة عند تعدد الطرق».

وأخرج هذا الحديث أيضًا الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٨/٨) (ح٧٩٧٧) من حديث عمر بن موسى عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، وعلته عمر بن موسى الوجيهي وهو متروك ذاهب الحديث كان يضع الحديث، فانظر إلى شدة الضعف، وانظر إلى قول الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٥/٥) قال: «رواه الطبراني وفيه عمر بن موسى بن وجيه ضعيف»، فيغتر من لا دراية له بعلم الحديث ويقوِّي الحديث لعدم وقوفه على درجة الضعف.

منبر الحرمين

حقيقة السُّنَن الإلهيَّة

إعداد/ **الشيخ خالد بن علي الغامدي**
إمام المسجد الحرام

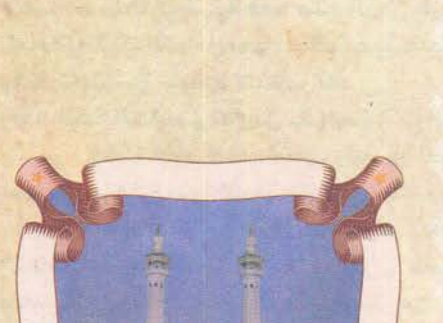

الحمدُ لله الذي صنَعَ هذا الكونَ فأتقنَه إتقانًا، وأنشَأه قائمًا على سُنَن وقوانين فأبدَعَه إبداعًا، أحمدُه- سبحانه- وأشكُرُه، وأُثني عليه ولا أكفُرُه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدهُ لا شريكَ له ما فرَّطَ في الكتاب من شيء، (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (مريم: ٦٤)، (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (الكهف: ٤٩).

وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه أخشَى الخلق لربِّه، وأعلَمُهم به وبحقِّه، صلَّى الله عليه وعلى آله وذريَّته وصحبه أولي العلم والنُّهَى، والفضلِ والتُّقَى، والتابعينَ لهم ما أظلَمَ الليلُ والدُّجَى، وأشرقَ الصُّبحُ والضُّحَى.

أما بعد: فاتَّقوا الله- عبادَ الله- وراقبوه، واعلَموا أنه مَن (يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ) (النور: ٥٢).

أيها المُسلمون: إن هذا الكونَ الفَسيحَ وما حوَاه من عظيم صُنع الله، وبَديع آياته، وحكيم أفعاله يَسيرُ وفقَ سُنَن ربَّانيَّة وقواعدَ مُتقَنَة، لا يَحيدُ عنها ولا يَميل، في إحكام وثبات واستقرار، لو اختَلَّ شيءٌ منها طَرفةَ عينٍ لفَسَدَت السماواتُ والأرض ومَن فيهنَّ، (إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ) (فاطر: ٤١).

إن السُّنَن الإلهيَّة التي بثَّها الله في الكَون والأنفُس والمُجتمعات سُنَنٌ ثابتةٌ مُستقرَّة، ومُضطرِدةٌ لا تتبدَّلُ ولا تتحوَّلُ، وذلك من أعظم صفاتها، كما قال ربُّنا- سبحانه-: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر: ٤٣).

سُنَنٌ شاملةٌ للعالَم كلِّه علويِّه وسُفليِّه، شاملةٌ للحَياة كلِّها وأحداثها وتقلُّباتها، فربُّنا- سبحانه- في كل لحظةٍ وفي كل يوم هو في شأن، وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار، (قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق: ٣).

إنها السُّنَنُ الإلهيَّة الثابتةُ المُضطرِدةُ الشاملةُ التي لا تُحابي أحدًا دُون أحد، ولا تُجامِلُ أمَّةً دُون أُخرى، فكلُّ مَن حقَّت عليه سُنَّةُ الله فهي واقعةٌ به ولا شكَّ، عصَى الرُّماةُ أمرَ رسولِ الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في

أُحُد، فهُزِمُوا مع أنهم كانُوا على الحقّ؛ لأن سُنَّةَ الله لا تُحابي أحدًا.

ونصرُ الله وإعزازُه وإكرامُه ينزِلُ إلى الناس وفقَ سُنَنٍ دقيقة مُحكَمة، والهزيمةُ والذِّلَّةُ يستحقُّها الناسُ وفقَ سُنَنٍ مُحدَّدة واضحةِ المعالم، بيِّنة لا خفاءَ بها ولا غُموضَ، وتلك صفةٌ أُخرى من صفاتِ السُّنَن الربَّانيَّة لِمَن تأمَّل وتفكَّر، وأحسنَ استعمالَ عقله في استخراج واستنباطِ السُّنَن، ورأى كيفَ أن أحداثَ الحياة والتاريخ والأمم تَسيرُ وفقَ هذه السُّنَن العَجيبة الواضحة البيِّنة.

أما الغافلون عن هذه السُّنَن الإلهيَّة، اللاهُون عنها فسوف تَفجَؤهم الأحداثُ، وتحقُّ عليهم سُنَنُ الله، وسيعُضُّون أصابعَ النَّدَم، ولاتَ ساعةَ مندَم، (فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ) (غافر: ٨٥).

أمة الإسلام: إن السُّنَن الإلهيَّة في الأنفُس والآفاق والمُجتمعات كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ بتنوُّع مُتعلَّقاتها؛ فهناك سُنَنٌ كونيَّةٌ طبيعيَّةٌ، وهناك سُنَنٌ اجتماعيَّةٌ، وسُنَنٌ حضاريَّةٌ اقتصاديَّةٌ، وسُنَنٌ تاريخيَّة، وسُنَنُ الاستخلاف والتمكين.

وقد بيَّن الله- سبحانه وتعالى- كثيرًا منها في كتابه، وعلى لسان رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وأمرَنا- سبحانه- أن ننظُرَ ونتأمَّلَ في الآيات والنُّذُر، وأحداث التاريخ والقصص القُرآني؛ لكي تنشأ عقولٌ ناضجةٌ مُدركةٌ لهذه السُّنَن التي تحكمُ المُجتمعَ الإنسانيَّ وطبائعَ الأشياء، ولتكون مُؤهَّلةً لتفسير ظواهر الكون، والنظرِ والاعتبار بمآلات الأمور وعواقبها، وموازين النُّهوض والسُّقوط، والتداوُل الحضاريِّ، (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) (آل عمران: ١٣٧)، وقال- سبحانه-: (يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) (النساء: ٢٦).

فالله- عزَّ وجل- قد أوضحَ هذه السُّنَن أيَّما إيضاح، وأرادَ منَّا- سبحانه- أن نتعلَّم علمَ السُّنَن، ونتفقَّهَ فيه؛ لكَي نُحسنَ الاستفادةَ منه في حياتنا وأمورنا، وتقدُّمنا وحضارتنا.

ولا جرَمَ- عباد الله- أن هدايات القرآن وقواعد السنَّة قد تضمَّنَت خُلاصَةَ السُّنَن الربَّانيَّة التي تحكُمُ الحياةَ والكون، وتربطُ الأسبابَ بالمُسبَّبات، والمُقدِّمات بالنتائج، في سياقاتٍ وأُطرٍ دقيقةٍ مُحكَمة، تظهرُ في حديثِ القرآن والسنَّة عن أخبار الأولين ومصارعِ المُكذِّبين، وأحوال الأمم والممالك، والنصر والهزيمة، حديثًا مبنيًّا على هذه السُّنَن الإلهيَّة القاطعة الصارمة التي لا تستثني أحدًا.

والبشريَّةُ دائمًا في حاجة شديدة إلى دوام التذكير بهذه السُّنَن، والتنبيه عليها، كما قال ربُّنا- سبحانه-: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم: ٥).

أمة الإسلام: إن هذه السُّنَن الربَّانيَّة منها ما هو عامٌّ يُمكنُ لكل البشريَّة أن يستفيدُوا منها، وهي ليسَت حكرًا على أحد، وقد يفتَحُ الله على البشريَّة في زمنٍ من معرفة هذه السُّنَن العامَّة ما لم يفتحه على مَن كان قبلَهم.

وهذه السُّنَن الربَّانيَّةُ العامَّةُ هي الأكثَرُ عددًا، والأوسَعُ مساحةً في التاريخ البشريِّ؛ كالسُّنَن الآفاقيَّة والنفسيَّة، والسُّنَن المُتعلِّقة بهذا الكون وجرَيان أموره على وفق تدبير الله- سبحانه وتعالى-، وتعاقُب الليل والنهار، وسَير الشمس والقمر، وسُنَن الخَلق والاجتماع، والإنشاء والبناء، والعُمران والحَضارات، والاستفادة من خيرات الأرض ومفاتيح عمارتها في التقدُّم العلميِّ والحضاريِّ.

فكلما أحسنَت البشريَّةُ فقهَ هذه السُّنَن الربَّانيَّة العامَّة وأتقنَت التعامُلَ معها، عاشَت عيشةً حسنةً، وهنئَت هناءً في حياتها لا نظيرَ له.

ولقَد أبدعَ المُسلمون الأوائلُ في الحضارة والتقدُّم والرُّقيِّ؛ لاكتشافهم هذه السُّنَن، ولحُسن تعامُلهم معها والاستفادة منها، فلما تخلَّوا عن ذلك، وغفَلَت الأجيالُ المُتعاقبةُ عن سُنَن الله، ولم يُحسنُوا التعامُلَ معها، جاءَت الأمم الأُخرى فأمسَكَت بناصية الحضارة والقوَّة، مُستفيدةً من علوم المُسلمين وتجاربهم، واكتشافهم سُنَن الله في الكون والحياة، فعملُوا على وفق هذه السُّنَن الربَّانيَّة، فاستحقُّوا طرَفًا من العطاء الربَّانيِّ المفتُوح لكلِّ من وافقَ هذه السُّنَن، وأحسنَ الاستفادةَ منها، (كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (الإسراء: ٢٠).

ولكن- يا عباد الله- هذا الفتحُ الدنيويُّ الذي ترَونَه قد فُتِح عليهم، وأغدقَت عليهم فيه النِّعَم،

وهم بعيدون عن الله، قد غرقوا في الشهوات واللذات، إنما هو في الحقيقة فتحٌ ماديٌّ أجوف، قد خلا من البركة والطمأنينة ورضا الله، وهو يجري أيضًا وفق سُنَّة الاستدراج والإملاء والإمهال، كما قال ربُّنا- سبحانه-: (فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (الأنعام: ٤٤، ٤٥).

وثبت عند أحمد والطبراني: عنه- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «إذا رأيتم الله يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ، وهو مُقيمٌ على معاصيه، فإنما ذلك استدراجٌ».

وقد يطولُ ذلك الاستدراجُ والإمهالُ، وقد يقصُر، سُنَّةٌ ربَّانيَّةٌ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ، (فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ) (الحشر: ٢).

أمة الإسلام: ومن سُنن الله الثابتة المُضطردة: سُننُه المُتعلِّقةُ بنصر دينه وشرعه وأوليائه وحزبه، وسُنن نزول العذاب وإهلاك الأمم، وغيرها، فهذه سُننٌ خاصَّةٌ بيَّنها ربُّنا- سبحانه وتعالى- أحسنَ بيانٍ؛ حيث جاء التأكيدُ على أن التوحيدَ والعملَ الصالحَ هو السبيلُ الأوحَدُ لنصر الأمة وتمكينها في الأرض، مع الإعداد والقوَّة الماديَّة،(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ)(النور: ٥٥)، وقال- سبحانه-: (وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال: ٦٠).

وبيَّن القرآنُ أن أعداءَ الأمة لهم وقتٌ وأجلٌ مُعيَّنٌ، فإذا جاءَ أجَلُهم نزلَ بهم العذابُ، وقد يشكُّ البعضُ في ذلك؛ لما يرَى من تطاوُل أمم الكُفر واستعلائها، وما علمُوا أن ذلك يجري وفقَ سُنَّة ربَّانيَّة، وأن سُنَّة اللهِ في إهلاك الظالمين والطغاة قد تطولُ، ولما تتحقَّقُ على أرض الواقع، وقد تذهبُ أجيالٌ وتأتي أجيالٌ، ثم تقعُ سُنَّةُ الله في الظالمين والطغاة، فلا يستأخِرُون عنها ولا يستقدِمُون ودعوةُ المظلُوم ينصُرُها الله ولو بعد حين

عبادَ الله: ومن أجَلِّ السُّنن الربَّانيَّة: قولُه- سبحانه-: (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) (إبراهيم: ٧)، وقوله: (وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (الأنفال: ٤٦).

وأن مُخالفةَ الرسولِ- صلى الله عليه وآله وسلم-، وعصيانَ أوامره أوسَعُ أبواب الفشَل والهزيمة، والهلاك العامِّ، وظُهور الفساد في البرِّ والبَحر.

ومن ألطَف سُنن الله وأدَقِّها: أن التغييرَ للخير والشرِّ لا يَحصُلُ إلا إذا ابتدَأَ به العبدُ نفسُه، كما قال- سبحانه-: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد: ١١)؛ فالبشرُ هم المسؤولون ابتداءً عن الصلاح والإصلاح، وهم المسؤُولون كذلك عن الفساد والانحطاط.

ومن السُّنن الربَّانيَّة: سُنَّةُ المُداوَلَة بين الناس؛ فيومًا رخاءٌ ويومًا شدَّة، ويومًا نصرٌ ويومًا هزيمة، (وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ) (آل عمران: ١٤٠).

ومن آثار سُنَّة المُداوَلَة هذه: أن يظهرَ الخبيثُ والمُنافقُ، ويتميَّزَ عن المُؤمن الصادق، وتلك سُنَّةُ التمييز العَجيبَة، (مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ) (آل عمران: ١٧٩).

ولقد جاء البيانُ المُشرقُ في القرآن والسنَّة مُؤكِّدًا على أن فشُوَّ الظُّلم والبغي، وغياب العدل، وانتشار المعاصي والذنوب، والمُجاهَرة بها، والتَّرَف والإسراف من أعظم أسباب تغيُّر الأحوال، وزوال النِّعَم، وفُجاءَة النِّقم، ونقص العافيَة والأرزاق، وقسوَة القلوب، وتناكر النفوس وتباغُضها، وتسليط بعض المُسلمين على بعض بالقول والفعل.

كما قال ربُّنا- سبحانه-: (أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ) (النحل: ٤٥- ٤٧).

قال ابنُ جرير- رحمه الله-: "يعني: أو يُهلكَهم بتخوُّف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيءَ بعد الشيء؛ حتَّى يُهلكَ جميعَهم".

وقال- سبحانه-: (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ) (القصص: ٥٩)، وقال- سبحانه-: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً) (المائدة: ١٣)، وقال- سبحانه-: (فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ) (المائدة: ١٤)، وقال- سبحانه-: (وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا) (الإسراء: ١٦).

وثبَتَ عنه- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «إنما أهلَكَ مَن كان قبلَكم: أنهم كانُوا إذا سرَقَ فيهم الشَّريفُ ترَكُوه، وإذا سرَقَ فيهم الضَّعيفُ أقامُوا

عليه الحدَّ، وايْمُ اللهِ؛ لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرَقَت لقطعتُ يدَها».

عباد الله: ومن سُنَنِ الله العظيمة الأثر: سُنَّةُ المُدافَعَة، أنْ يدفعَ اللهُ الشرَّ بالخيرِ، والضلالَ بالهُدى، والمُفسدين بالمُصلحين، وهيَ من أعظم السُّنَنِ التي تحفَظُ نظامَ الكَون، وتحفَظُ الناسَ من الفساد والهلاك العامِّ، (وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ) (البقرة: ٢٥١).

أيها المُسلمون: إن أحداثَ الكَون والحياةِ والتاريخ، وسيَرِ الأمم وارتفاعها وانخفاضها، ورَغَد عيشها وبُؤسه، وضيقه وبحبُوحَته، وقيام الممالك وزوالها، وازدهارِ العُمران وتخلُّفه، كلُّ ذلك يتمُّ ويمضي وفقَ سُنَنٍ ربَّانيَّة صارمة قاطعة، لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ، وهي مُتكرِّرةٌ مع وجودِ الحالِ المُقتضي لذلك.

والمُسلمُ العاقلُ الحَصيفُ هو من يسعَى إلى التعرُّف على هذه السُّنَن الإلهيَّة، ويتفقَّهُ في دلالاتها وآثارها، من خلال الآيات والنُّذُر، وأيام الله، والتأمُّل في القصَص القرآني والتاريخ الغابر، وقراءَته قراءةَ عبرةٍ وعظة، ويتفكَّرُ في الأحداث والمواقف؛ ليستكشفَ هذه السُّنَن التي هي غايةٌ في العدلِ والثَّبات والاضطراد، وفي ذلك فوائدُ كثيرةٌ، وثمراتٌ عُظمَى لا تُحصَى.

فالمُسلمُ الذي يفقَهُ هذه السُّنَن العامَّة والخاصَّة يعرفُ كيف تسيرُ أقدارُ الله، ويقفُ على شيءٍ من حكَمها وغاياتها وعِلَلها، فيُوافقُ هذه السُّنَن ولا يُصادمُها، فيُرزَقُ البَصيرَةَ والتَوفيقَ والطُّمأنينةَ والثقَةَ بالله، وينظُرُ في الأحداث بنُور من الله، ويعظُمُ إيمانُه بربِّه؛ لأنه يعلَمُ أن الأمورَ كلَّها بأسبابها ومُسبَّباتها، ونتائجها ومُقدِّماتها هي بيَد الله وحدَه، فهو المُعزُّ المُذلُّ، الرافِعُ الخافضُ، الباسطُ القابضُ، المُعطي المانِعُ، مُقدِّرُ الأقدار، ومُصرِّفُ الأكوان.

أمة الإسلام: هذه السُّنَن الربَّانيَّةُ الصارمةُ الشاملةُ تُؤكِّدُ أن هذه الحياةَ ليست عبَثًا ولا فوضَى ولا همَلاً، بل هي حياةٌ قائمةٌ على نواميس وسُنَن وقوانين؛ فمَن يعمَل خيرًا يُجزَ به، ومَن يعمَل سُوءًا يُجزَ به، والله لا يُضيعُ أجرَ المُحسنين.

واستَشرافُ هذه السُّنَن، واستكشافُها ومُوافقتُها يُحيي في الإنسان الشُّعورَ بالإنسانيَّة والأمانة، ويصنَعُ منه رجُلاً عاملاً مُجدًّا مُثمرًا بنَّاءً؛ لأنه يعلَمُ أنه أمام سُنَن وقَوانين لا تُحابي أحدًا، ولا تستَثني فردًا، بخلاف من يُهمِلُ علمَ السُّنَن ويُغفلُه، ولا يُقيمُ لَه وزنًا، فإنك تراه يتبع هواه، ويُخَالفُ هذه السُّنَن الربَّانيَّة ويُعاندُها، فيعيشُ حياةَ الفوضويَّة والعبَثيَّة والتفريط، والتَّبَعيَّة والانهزاميَّة، ثم إذا نزلَت به قارعة، وغرقَت به السفينة قال: أنَّى يكونُ هذا؟! (أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ) (آل عمران: ١٦٥).

فكلُّ مَن أعرضَ عن سُنَن العزَّة والتمكين والحياة الكريمة المُباركة، فإنه سوف يُخذَلُ من حيث كان يظُنُّ أنه سيُوفَّق، وسيُهانُ ويُذَلُّ من الجهة التي كان يعتقدُ أنها ستُكرمُه وتُعزُّه، وترَى الفقرَ بين عينَيه، قد شتَّتَ الله عليه أمرَه، وجعلَه فُرُطا.

سُنَّةٌ ربَّانيَّةٌ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ، فاعتبرُوا يا أولي الألباب والعقول والبصائر، (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ) (طه: ١٢٤).

أيها المسلمون: السُّنَنُ الربَّانيَّةُ المبثُوثةُ في الكَون والحياة كثيرةٌ جدًّا ومُتنوِّعة، ولقد تحدَّث القرآنُ عنها في سُور كثيرة، وأفاضَ فيها بأسلوبه المعهُود حلاوةً وطَلاوَةً وتأصيلاً، كما في سُورة آلَ عمران، والأعراف، والأنفال، والتوبة، وهُود، وإبراهيم، والإسراء، والكهف، والحجِّ، والنُّور، وغافر، وغيرها كثيرٌ جدًّا، وتكاثرَت النماذجُ والأمثالُ النبويَّةُ في السنَّة المُشرَّفَة والسِّيرة العطرَة.

فدُونَكم- يا مُسلمون- كلامَ الله، وسُنَّةَ نبيِّه- صلى الله عليه وآله وسلم- وسيرتَه المُباركة؛ ففيها الهُدى التامُّ، والنُّورُ التامُّ، والكمالُ والجمالُ والجلالُ، والمُوفَّقُ السعيدُ مَن وفَّقه الله وبصَّرَه، وزكَّى قلبَه ونوَّرَه، والمخذُولُ المحرُومُ مَن أعرضَ عن هَدي ربِّه واتَّبَعَ هوَاه ونسيَ الله، فانفرَطت عليه أمورُه، وخبَط في هذه الحياة خَبطَ عشوَاء، فلم يُبالِ الله به في أي أوديَتها هلَك، (أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) (غافر: ٢١، ٢٢).

باب الفقه

الحلقة الثانية

أحكام الصلاة

العمل الكثير في الصلاة

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد بدأت في الحلقة السابقة بالحديث عن العمل الكثير في الصلاة، وما يتعلق به من أحكام، وفي هذه الحلقة نبدأ بالحديث عن الأعمال المختلفة التي ورد الإذن بالقيام بها في الصلاة على أن تكون خفيفة، دون أن يعتبرها الشرع قادحة في الخشوع ولا منافية له، فنذكر جملة من هذه الأعمال:

١) المشي لحاجة تَعَرِضُ للمصلي:

يجوز للمصلي إن عَرض له عارضٌ فاحتاج إلى أن يتقدم قليلاً إلى الأمام أو إلى أن يتأخر قليلاً، أو إلى أن يخطو قليلاً يمنة أو يسرة أن يفعل ذلك بأناة وهدوء وسكينة ويمضي في صلاته، ويبقى في كل أوضاعه مستقبلاً القبلة، والأصل في ذلك حديث أبي حازم رضي الله عنه قال «سألوا سهل بن سعد: من أي شيء المنبر؟ فقال: ما بقي من الناس أعلم به مني، هو من أثلِ الغابة، عَمِلَه فلان مولى فلانة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وقام عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين عُمل ووُضع، فاستقبل القِبلة، كبَّر وقام الناس خلفه، فقرأ وركع وركع الناس خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رجع القَهقَرى فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم ركع ثم رفع رأسه، ثم رجع القَهقَرى حتى سجد بالأرض، فهذا شأنه» رواه البخاري.

قال الإمام البغوي: «من فوائد حديث سهل أن العمل القليل لا يبطل الصلاة وإن كان قصداً». (شرح السنة ٢/٣٩٢).

قال بدر الدين العيني الحنفي: «ومنها أن المشي اليسير في الصلاة لا يفسدها». وقال صاحب (المحيط): «المشي في الصلاة خطوة لا يبطلها وخطوتين أو أكثر يبطلها، فعلى هذا ينبغي أن تفسد هذه الصلاة على هذه الكيفية، ولكنا نقول: إذا كان لمصلحة ينبغي أن لا تفسد صلاته ولا تكره أيضًا». (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦/٤٨٢).

ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت استفتحت الباب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تطوعًا، والباب على القبلة، فمشى عن يمينه أو عن يساره ففتح الباب ثم رجع إلى مصلاه. رواه أحمد والنَّسائي وحسنه الألباني.

قال المباركفوري: «والظاهر أن أمثال هذه الأفعال في صلاة التطوع عند الحاجة لا تبطل الصلاة، وإن كانت متوالية». (تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٥/١٩١).

٢) الإشارةُ باليدين والرأس لرد السلام:

يجوز للمصلي حال الصلاة أن يرد التحية كالسلام إشارةً بيده أو بإصبعه أو برأسه، قال أبو عمر ابن عبد البر: «وقد أجمع العلماء على أن من سُلِّم عليه وهو يصلي فرد إشارةً أنه لا شيء عليه» (الاستذكار ٢/٣١٤).

واستدل ابن عبد البر لذلك بحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال «دخل النبي- صلى الله عليه وسلم- مسجد بني عمرو بن عوف- يعني مسجد قُباء- فدخل رجال من الأنصار يسلِّمون عليه، قال ابن عمر: فسألتُ صُهيباً وكان معه: كيف كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يفعل إذا كان يُسلَّمُ عليه وهو يصلي؟ فقال: كان يشير بيده» رواه النَّسائي وابن ماجه، قال الألباني: صحيح (انظر صحيح وضعيف سنن النسائي برقم ١١٨٧).

وما ذكره ابن عبد البر لا ينفي وقوع الخلاف في المسألة فيما يتعلق بالكراهة، فقد اختلفوا

في حكم رد السلام بالإشارة إلى قولين:

القول الأول: يكره للمصلي رد السلام بالإشارة وهو في الصلاة. وبه قال الحنفية (انظر الهداية شرح بداية المبتدي ١/ ٦٤). قال الكاساني: «وَلَوْ رَدَّ بِالْإِشَارَةِ لَا تَفْسُدُ لِأَنَّ تَرْكَ السُّنَّةِ لَا يُفْسِدُ الصَّلَاةَ وَلَكِنْ يُوجِبُ الْكَرَاهَةَ». (بدائع الصنائع ١/ ٢٣٧). والسنة هنا: وضع اليمنى على اليسرى.

القول الثاني: يشرع للمصلي رد السلام بالإشارة بيده أو برأسه، وإن شاء رد عليه باللفظ بعد فراغه من الصلاة. وبه قال جمهور الفقهاء من المالكية، والشافعية، والحنابلة. (انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢/ ٦٤، المجموع للنووي ٤/ ١٠٣، المغني لابن قدامة ٢/ ٤٦٠).

واستدل جمهور الفقهاء بحديث صُهيب رضي الله عنه السابق. واستدلوا لذلك أيضاً بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى قُباء يصلي فيه، قال: فجاءته الأنصار فسلموا عليه وهو يصلي، قال: فقلت لبلال: كيف رأيتَ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قال يقول هكذا، وبسط كفَّه، وبسط جعفر بن عون كفه، وجعل بطنه أسفلَ وظهره إلى فوق». رواه أبو داود قال الألباني: حسن صحيح (انظر صحيح أبي داود برقم ٨٦٠).

قال صاحب عون المعبود: فيه دليل على استحباب رد السلام في الصلاة بالإشارة. (عون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي).

وعن جابر بن عبد الله قال: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فأتيته وهو يصلي على بعيره فكلمته فقال بيده هكذا.. رواه أحمد ومسلم، وفي رواية لمسلم: « فسلمت عليه فأشار إليَّ » فهي أصرح في الدلالة على المطلوب.

واستدل الحنفية بحديث ابن مسعود رضي الله عنه السابق، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: « إن في الصلاة شغلاً » أخرجه البخاري ومسلم.

وجه الدلالة عندهم أن الحديث دل بعمومه على منع رد السلام في الصلاة مطلقًا، سواء كان باللفظ أو بالإشارة، وإلا لاستثنيت (انظر بدائع الصنائع للكاساني ١/ ٢٣٧)، ولأن الإشارة كلامٌ معنًى، وأنها تُفضي إلى ترك سنة وضع اليد في الصلاة وهي الكف لقَوْله صلى الله عليه وسلم: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ فِي الصَّلَاةِ».

مما سبق بيانه من آراء الفقهاء وأدلتهم يتبين أن ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من مشروعية رد السلام بالإشارة في الصلاة هو القول الراجح، وذلك لما يلي:

١- صحة دلالة السنة الصحيحة الصريحة على ذلك.

٢- أن ما ذهب إليه المخالف مخالف لما سنَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته؛ إذ إنه عليه الصلاة والسلام- سنَّ للمصلي أن يرد السلام بالإشارة.

٣- أن ما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه يُحمل على نفي الرد بالكلام دون الإشارة؛ جمعًا بين الأدلة.

٤- ضعف ما استدل به المخالف من المعقول لمعارضته للنقل الصحيح. (حكم الكلام وما شابهه في الصلاة للدكتور: عبد السلام بن سالم السحيمي).

واستدل من قال بجواز رد السلام إشارةً بالأصابع بحديث صهيب رضي الله عنه قال: «مررتُ برسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو يصلي فسلَّمتُ عليه فردَّ إشارةً، قال ولا أعلمه إلا قال: إشارةً بإصبعه» رواه أحمد وأبو داود والترمذي. قال الألباني: صحيح. (انظر صحيح أبي داود برقم ٨٥٨).

ومما يدل على جواز رد السلام إيماءً بالرأس حديث أبي هريرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «لما قدمتُ من الحبشة أتيت النبي- صلى الله عليه وسلم- وهو يصلي فسلَّمتُ عليه فأومأ برأسه» قال الألباني: أخرجه الطبراني بسند صحيح عنه، وهو مخرج في « الروض النضير » (٦٣٧).

وكان ذلك عند قدومه من هجرته رضي الله عنه من الحبشة، صح ذلك عنه من غير ما

طريق، وفي الحديث دلالة صريحة على أن رد السلام من المصلي لفظًا كان مشروعًا في أول الإسلام في مكة، ثم نُسخ إلى رده بالإشارة في المدينة. وإذا كان ذلك كذلك، ففيه جواز إلقاء السلام على المصلي، لإقراره صلى الله عليه وسلم ابن مسعود على إلقائه، كما أقر على ذلك غيره ممن كانوا يسلمون عليه وهو يصلي، وفي ذلك أحاديث كثيرة معروفة من طرق مختلفة، وهي مخرَّجة في غير ما موضع. وعلى ذلك فعلى أنصار السنة التمسك بها، والتلطف في تبليغها وتطبيقها، فإن الناس أعداء لما جهلوا، ولاسيما أهل الأهواء والبدع منهم. (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤١٦/٦ بتصرف يسير).

٣) تحريك اليد والإشارة بهما للحاجة في الصلاة:

يجوز للمصلي حال الصلاة أن يتناول بيديه ما يحتاج إلى تناوله، وأن يحرك بهما ما يحتاج إلى تحريك وكذا الإشارة بهما، وقد استدل العلماء على ذلك بحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قَالَ: نمت عنْدَ ميمونة والنبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم عندها تلك الليلة، فتوضأ، ثُمَّ قام يصلي، فقمت عَن يساره، فأخذني فجعلني عَن يمينه... الحديث.

وميمونة هي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالة ابن عباس. وقد جاء التصريح بذلك فيما رواه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «بِتُّ عند خالتي ميمونة... الحديث) قال ابنُ حجر: «قوله: «فأخذني فجعلني» قد تقدم أنه أداره من خلفه، واستدل به على أن مثل ذلك من العمل لا يُفسد الصلاة». (فتح الباري ١٩١/٢).

وعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه قال «صلى بنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صلاة الفجر، فجعل يَهوي بيده، فسأله القوم حين انصرف فقال: إن الشيطان هو كان يُلْقي عليَّ شررَ النار ليفتنني عن صلاتي فتناولته، فلو أخذتُه ما انفلت مني حتى يُناط إلى سارية من سواري المسجد، ينظر إليه وِلْدانُ أهل المدينة» رواه أحمد.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال «انخسفت الشمس على عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فصلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقام قياماً طويلاً- وذكر الحديث إلى أن قال- ثم انصرف وقد تجلَّت الشمسُ، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك كَعْكَعْتَ، قال- صلى الله عليه وسلم-: إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أصبتُهُ لأكلتم منه ما بقيت الدنيا...» رواه البخاري.

قال ابن رجب: «فِي الحَديث: دليل عَلَى أن رفع بصر المصلي إلى مَا بَيْنَ يديه، ومد يده لتناول شيء قريب منْهُ لا يقدح فِي صلاته». (فتح الباري ٢١١/٥).

ومما يستدل به على جواز الإشارة باليد للحاجة في الصلاة حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت «صلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في بيته وهو شاك، فصلى جالساً وصلى وراءه قومٌ قياماً، فأشار إليهم أنْ اجلسوا، فلما انصرف قال: إنما جُعل الإمام ليُؤْتَمَّ به، فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً» رواه البخاري.

ومما يُستأنَسُ به حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «أتيت عائشةَ زوجَ النبي- صلى الله عليه وسلم- حين خَسَفَت الشمسُ، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تصلي فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها إلى السماء وقالت: سبحان الله، فقلت: آية؟ فأشارت أن نعم...» رواه البخاري. ومما يقوِّي الاستدلال بهذا أنه من فعل صحابية كعائشة رضي الله عنها وهي المشهود لها بالعلم والفقه.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، ويختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

الحلقة الرابعة

اللقطة واللقيط

آداب وأحكام

إعداد/ **محمد عبد العزيز**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا هو المقال الرابع المعنون بـ: «اللقطة واللقيط آداب وأحكام»، وقد انتهينا في المقالات السابقة من الحديث عن أحكام وآداب اللقطة باختصار- أرجو ألا يكون مخلاً- ونبدأ في هذا المقال مع الشطر الثاني من العنوان: اللقيط آداب وأحكام، وهذا الحكم له أهمية بالغة في حياة الناس، وينبغي أن يتناول من كثير من المناحي- كما سيأتي- أحدها الحكم الشرعي في مسائله، وهو ما سيكون في هذا المقال، كما هو واضح من العنوان، فأقول وبالله التوفيق، ومنه أستمد العون:

اللقيط: على وزن فعيل يراد به اسم المفعول (الملقوط)، مثل: جريح ومجروح، وقتيل ومقتول، وهو- الملقوط- أي: المأخوذ والمرفوع، فيشمل كل ما التقط.

وهو من تسمية الشيء باسم عاقبته، وهي الالتقاط، وهذا معروف في لغة العرب، ومن ذلك:

- قوله تعالى: «إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ» يوسف: ٣٦، فسمى العنب خمرًا باعتبار عاقبته.

- وقول الله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ» الزمر: ٣٠، فسمى الحي ميتًا باعتبار عاقبته.

وإلا فهو (اللقيط) ما دام لم يلتقط يسمى: منبوذًا. (البيان في مذهب الإمام الشافعي (٨/٧)، وبدائع الصنائع ٥/٢٩٠).

فاللقيط: الملقوط، أي: المأخوذ من الأرض، والمنبوذ: المُرْمَى به، من نبذت الشيء: رميته، ومنه قوله تعالى: «فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ» آل عمران: ١٨٧.

وقد غلب اسم اللقيط في العرف على: الصغير، الحي، الذي لا كافل له معلوم، الذي نبذه أهله للعجز عن نفقته، أو فرارًا من تهمة الزنا، أو ضاع منهم، فالتقطه بعض الناس. (انظر: المبسوط، للسرخسي (١٠/٢٠٩)، وبداية المجتهد (٤/٩٣)، وفتح العزيز (٦/٣٧٧)).

وقد اختلف الناس في سنِّ من يسمى لقيطًا على أقوال:

- فعند الحنفية: هو الطفل الملتقط بعد الولادة.

- وأحد القولين عند الحنابلة: هو الطفل الملتقط إلى سنِّ التمييز.

- وعند الشافعية: هو الطفل الملتقط، ولو مميزًا على أحد القولين.

- وعند المالكية، والقول الصحيح عند الحنابلة: هو الطفل الملتقط إلى سنِّ البلوغ.

وهذا الموضوع له أهمية بالغة، تشريعيًا، واجتماعيًا، وإنسانيًا، ويكفي للمتفحص أن يلقي نظرة عابرة على الأرقام الكبيرة للأطفال اللقطاء الذين تكتظ بهم دور رعاية الأيتام- الملاجئ- سواء العامة، أو الخاصة فضلاً عن ظاهرة أولاد الشوارع، ليستشعر أهمية الضبط لها من هذه الجهات الثلاث.

وسنتناول في هذا المقال أهم الأحكام التي تتعلق باللقيط باختصار في سبعة مطالب، وهي:

- حكم الالتقاط له.
- حكم تعريف اللقيط.
- نسب اللقيط.
- ديانة اللقيط.
- النفقة على اللقيط.

- ولاء اللقيط.

- حكم قذف اللقيط في نفسه، وبأمه.

و قد تناول أهل العلم أحكام اللقيط في باب أحكام اللقطة، وهما يفترقان من وجوه:

الأول: التعريف، وقد تقدم تعريف كلٍ منهما.

الثاني: الاختصاص، فاللقطة مختصة بالمال، واللقيط مختص بالآدمي.

الثالث: الحكم، فحكم التقاط اللقطة العام الاستحباب، وحكم التقاط اللقيط العام الوجوب الكفائي.

الرابع: الإشهاد، فحكم الإشهاد على اللقطة عند الجمهور الاستحباب، وحكم الإشهاد على التقاط اللقيط عند الجمهور الوجوب.

و قد أغنى ذكر أحكام اللقطة في المقالات السابقة عن تفصيل كثير مما ذكر.

حكم التقاط اللقيط:

تقدم أن حكم التقاط اللقيط هو الفرض الكفائي على المسلمين، ويلزم بالالتقاط أمران، هما: الحفظ والرعاية، والتربية.

والطفل اللقيط يساوي الصبي الذي ليس بلقيط في عامة الأحكام، وله أحكام على الخصوص.

قال العمراني في البيان (٧/٨): « والتقاط المنبوذ فرض، لِقَوْلِه تَعَالَى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ» (المائدة: ٢) فأمر بالمعاونة على البر، وهذا من البر. وقَوْله تَعَالَى: «وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الحج: ٧٧) فأمر بفعل الخير، وهذا من فعل الخير. وقَوْله تَعَالَى: « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » (التوبة: ٧١) والولي يلزمه حفظ المولى عليه. وقَوْله تَعَالَى: «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» (المائدة: ٣٢).

فقيل: معناه: له ثواب من أحيا الناس كلهم، وفي أخذ اللقيط إحياء له، فكان واجبًا، كبذل الطعام للمضطر.

إذا ثبت هذا: فإن التقاطه فرض على الكفاية إذا قام به بعض الناس، سقط عن الباقين، وإن تركوه، أثم جميع من علم به، كما نقول في غسل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه».

وهو مذهب الحنفية، كما في الدر المختار (ص ٣٥٣)، ومذهب المالكية كما في شرح الزرقاني على مختصر خليل (٢١٤/٧)، ومذهب الحنابلة كما في الشرح الكبير (٢٧٩/١٦).

ومضيعه آثم، فهي كبيرة من كبائر الإثم، ومضيعه طرفان:

- أهله الذين نبذوه، إن لم يكن عن ضيعة لا تفريط فيها.
- تاركه دون التقاط، إن لم يلتقطه غيره، ويعم الإثم المسلمين إن ضيعوه، فلم يلتقطوه.

الشروط الواجب توافرها في الملتقط:

هذا والملتقط للطفل المنبوذ يجب أن تتوفر فيه شروط؛ ليتحقق بالتقاطه الكفاية للقيط، ويسقط بفعله الإثم عن المسلمين، والشروط التي ذكرها الجمهور خمسة، وثمة شروط غيرها مختلف فيها، وهي:

الشرط الأول: الإسلام إن كان اللقيط في دار الإسلام، أو بدت عليه سيماهم كأن يكون مختونًا أو أمام مسجد، ونحوه، فإن التقطه غير المسلم حول إلى مسلم يرعاه، فلا يجوز إقراره بيده لقوله تعالى: «وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» (النساء: ١٤١).

فإن كان اللقيط غير مسلم- ويعرف هذا بسيماهم كأن يكون قد دق على يده الصليب، أو هو في قرية لأهل الذمة ليس فيها مسلم؛ تغليبًا لحكم الدار؛ لقوله تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » (الأنفال: ٧٣)، جاز لغير المسلم التقاطه والقيام عليه، وهو مذهب الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة. (الشرح الكبير للدردير (١٢٧/٤)، وبداية المجتهد (٢٣٢/٢)، والحاوي الكبير (٤٢/٨)، والبيان للعمراني (١٨/٨)، والمغني (٤١/٦)، والإنصاف (٤٣٩/٦))

الشرط الثاني: التكليف- البلوغ، والعقل- فإن التقطه غير المكلف كالصبي، والمجنون، انتزع من يده؛ لأن غير المكلف لا يقوم بأمر نفسه من الحفظ، والرعاية، والنفقة، والتربية....، فكيف يقوم بأمر غيره.

هذا ما يسره الله في هذا المقال، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

اتبعوا ولا تبتدعوا

إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح

الحلقة الثانية

إعداد/ **معاوية محمد هيكل**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد ذكرنا في المقال السابق جملة من الفوائد المستفادة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن قال له: إنك تَقْدُمُ على قوم أهل كتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه: عبادة الله. (وفي رواية: فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) (وفي رواية: أن يوحِّدوا الله تعالى). ثم قال: فإن هم أطاعوا لك بذلك، (وفي رواية: فإذا عرفوا الله)، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم؛ فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. (متفق عليه: البخاري: ١٤٥٨، ومسلم: ١٩).

ونكمل اليوم ما يستفاد من هذا الحديث، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من فوائد الحديث:

(١) فيه بيان أهمية الصلاة وعظم شأنها، وأنها أعظم الأركان بعد الشهادتين

فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبرُك برأس الأمر وعموده وذروةُ سنامه؟. قلتُ: بلى يا رسولَ الله! قال: رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامه الجهادُ..." (صحيح الترغيب: ٢٨٦٦).

وهي نور ونجاة لمن حافظ عليها فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه: ذَكَرَ الصَّلاةَ يومًا فقالَ: "من حافظَ عليها كانت لَهُ نورًا وبرهانًا ونَجاةً يومَ القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يَكُن لَهُ نورٌ، ولا برهانٌ، ولا نجاةٌ، وكانَ يومَ القيامةِ معَ قارونَ، وفرعونَ، وهامانَ، وأبيِّ بن خلف" (رواه أحمد: ٨٣/١٠ وصححه الشيخ أحمد شاكر).

وهي الفارقة بين الكفر والإيمان وتركها من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينَ العبد وبينَ الشرك أو الكفر تركُ الصَّلاة." (صحيح الترمذي: ٢٦١٩).

وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: "كان أصحابُ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ لا يرونَ شيئًا من الأعمال تركُه كفرٌ، غيرَ الصَّلاةِ" (صحيح الترمذي: ٢٦٢٢).

(٢) فيه دليل على أن الوتر ليس بواجب لأن الله تعالى افترض في اليوم والليلة خمس صلوات فحسب وهو قول الجمهور لهذا الحديث وغيره.

(٣) فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف إلى الفقراء.

(٤) فيه الإشارة إلى أنه من حِكَم فرض الزكاة: إرساء ما يُسمَّى اليوم بالتكافل الاجتماعي، فهو في مصلحة المجتمع عموماً، وليس مجرد استخلاص للأموال! قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "إن الله تعالى بعثَ محمداً هادياً، ولم يبعثه جابياً".

(الحكم الجديرة بالإذاعة: ٢٦).

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "وفرض الزكاة على المسلمين من أظهر محاسن الإسلام ورعايته لشئون معتنقيه؛ لكثرة فوائدها، ومسيس حاجة فقراء المسلمين إليها، فمن فوائدها تثبيت أواصر المودة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها".

(٥) فيه اتقاء خير أموال الناس في الزكاة وأن أخذها من الظلم قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله: "الزكاة: لمواساة الفقراء فلا يُناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء". (فتح الباري: ٣/ ٣٦٠).

قال الإمام النووي رحمه الله-: "وفيه: أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال، في أداء الزكاة، بل يأخذ الوسط، ويحرم على رب المال إخراج شر المال " انتهى. (صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ١٩٧).

(٦) فيه أن أهلَ كُلِّ بَلَدٍ أحقُّ بصَدَقَتهم ما دام فيهم أحدٌ منْ ذوي الحَاجة. نقَل الإجماعَ على ذلك، أبو عُبَيْد القاسمُ بنُ سلاَّمٍ قال: (العلماءُ اليومَ مُجمعونَ على: أنَّ أهلَ كُلِّ بلَد منَ البلدان؛ أحقُّ بصَدَقَته، ما دام فيهم منْ ذَوي الحاجَة واحدٌ فما فوقَ ذلك) (الأموال: ص ٧٠٩).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (يجوزُ نقْلُ الزَّكاةِ وما في حُكمِها؛ لمصلحة شرعيَّة) (الاختيارات الفقهية ص: ٤٥٣).

(٧) فيه أن زكاة المال تجبُ على كلٍّ مَن بلغ عنده نصابها، وإن كان صغيرًا أو مجنونًا، كما هو قول الجمهور؛ لعموم قوله: "تُؤخذ من أغنيائهم".

(٨) فيه الرد على المعتزلة والأشاعرة والمتكلمين ومن نحا نحوهم؛ الذين يرون أن العقائد لا تثبت بخبر الآحاد؛ بل لا بدَّ لثبوتها (عندهم) من خبر متواتر، قال الألباني رحمه الله: هذا الحديث دليل قاطع على أن العقيدة تثبت بخبر الواحد، وتقوم به الحجة على الناس ولولا ذلك لما اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإرسال معاذ رضي الله عنه وحده! وهذا بيِّن ظاهر. (وجوب الأخذ بحديث الآحاد: ٨).

وقد بوَّب البخاري لذلك فقال: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، وساق خمسة عشر حديثاً مستدلاً بها على ذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله شارحاً هذه الترجمة: "المراد بالإجازة: جواز العمل به (أي بخبر الآحاد)، والقول بأنه حجة، وقَصدُ الترجمة الرد به على من يقول: إن خبر الواحد لا يُحتَجُ به إلا إذا كان رواه أكثر من شخص حتى يصير كالشهادة " (فتح الباري ١٣/ ٢٣٣).

وقال ابن بطال رحمه الله: "انعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد " (فتح الباري: ١٣/ ٣٢١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومعلوم مشهور استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القبول بأخبار الآحاد، وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله تعالى، ومسائل القدر، والرؤية، وأصول الإيمان والشفاعة، واخراج الموحدين من المذنبين من النار... وهذه الأشياء، علمية لا عملية، وانما تروى لوقوع العلم للسامع بها، فإذا قلنا خبر الواحد لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ، وجعلناهم لاغين هازلين مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً ولا ينفعه، ويصير كأنهم قد دونوا في أمور الدين ما لا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه " (مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٣٣٢).

وقال ابن حزم رحمه الله: " القرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد في أنهما من عند الله، فمن جاءه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرُّ أنه صحيح، وأن الحجة تقوم بمثله، أو قد صحح مثل ذلك الخبر في مكان آخر، ثم ترك مثله في هذا المكان لقياس أو لقول فلان وفلان؛ فقد

خالف أمر الله وأمر رسوله " (الإحكام ١/٩٨، ١٠٢، ١٠٨ بتصرف).

وقال أيضا: بعد أن ساق الأدلة على أن خبر الواحد العدل يوجب العلم والعمل معا ويجب قبوله قال: " فصح بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضا فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم.. " (الإحكام ١/١٠٢).

وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله: " والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله: من أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي، سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرهما..." (الباعث الحثيث: ١/١٢٥).

(٩) فيه الرد على المستشرقين والمستغربين من زنادقة الشرق والغرب؛ الذي يُصوِّرون لأقوامهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بقوة السيف، وسفك دماء الناس... وهذا القول على إطلاقه باطل، فالإسلام انتشر بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأُيِّدَ بالسيف، فالنبي صلى الله عليه وسلم بلَّغه بالدعوة بمكة ثلاثة عشر عاما، ثم في المدينة قبل أن يؤمر بالقتال، والصحابة والمسلمون انتشروا في الأرض ودعوا إلى الله، ومن أبى جاهدوه؛ لأن السيف منفذ، قال تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ". والحقيقة أن الإسلام جاء بدعوة الناس لإحياء ما وَقَر في قلوبهم وفطرهم، من توحيد الخالق، وتعبيدهم إليه، والكفر بما سواه من معبودات، وليس ثمة إجبار للناس في هذا قال الله تعالى: «لا إكراه في الدِّين».

قال العلامة السعدي رحمه الله: "هذا بيان لكمال هذا الدِّين الإسلامي، وأنه لكمال براهينه، واتِّضاح آياته، وكونه: "هو دين العقل والعلم ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد.. فلكماله وقبول الفطرة له لا يحتاج إلى الإكراه عليه؛ لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة والحق، أو لما تخفى براهينه وآياته". (تيسير الكريم الرحمن: ٩٥٤).

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميرا على جيش أو سرية: أوصاه في خاصَّته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين: فادعهم إلى ثلاث خصالٍ- أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم: ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك: فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك: فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوا أن يتحولوا منها: فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء؛ إلا أن يُجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا: فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك: فاقبل منهم، وكفَّ عنهم. فإن هم أبوا: فاستعن بالله وقاتلهم. (صحيح مسلم: ١٧٣١).

وشهد شاهد من أهلها:

وليس معنى الجهاد في سبيل الله لدعوة الناس إلى الإسلام، وإزالة معالم الشرك من الوجود، ليس معنى هذا أن الإسلام يكره الناس على الدخول فيه، كلا، فإن الله تعالى يقول: (لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ) البقرة/٢٥٦.

ولذلك من رفض من المشركين الدخول في الإسلام تُرِكَ ودينَه، ولكن بشروط نعقدها معه، وهو ما يسمى بـ "عقد الجزية" أو "عقد الذمة". فلليهودي أن يبقى على يهوديته في دولة الإسلام، وكذلك النصراني وغيرهم من أهل سائر الأديان.

وتاريخ المسلمين شاهد على بقاء غير المسلمين في دولة الإسلام من غير أن يُكرَهوا على تغيير دينهم. وقد اعترف بذلك كثير من المستشرقين أنفسهم.

قال المستشرق الألماني أولرش هيرمان: " الذي

لفت نظري أثناء دراستي لهذه الفترة- فترة العصور الوسطى- هو درجة التسامح التي تمتع بها المسلمون، وأخص هنا صلاح الدين الأيوبي، فقد كان متسامحاً جداً تجاه المسيحيين. إن المسيحية لم تمارس الموقف نفسه تجاه الإسلام " انتهى. (مجلة العالم الإسلامي)، العدد ٢٩٠.

وقال ول ديورانت (فيلسوف ومؤرخ أمريكي): "كان أهل الذمة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرًا في المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحرارًا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم.. وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم" انتهى.

وأما إكراه النصارى للمسلمين على تغيير دينهم، وقتلهم وتعذيبهم إن رفضوا ذلك، فشواهده من التاريخ القديم والمعاصر واضحة للعيان، وما محاكم التفتيش إلا مثال واحد فقط من هذه الوقائع. انظر: "التسامح في الإسلام" د. شوقي أبو خليل.

(١٠) فيه بيان خطورة الظلم وشناعته، ووعيد الله للظالم بعاجل مجازاته، قال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرا؛ فإنه ليس دونها حجاب". (السلسلة الصحيحة: ٧٦٧).

(فإنه ليس دونها حجاب)، أي: مانع، بل هي معروضة عليه تعالى. قال السيوطي: أي ليس لها ما يصرفها ولو كان المظلوم فيه ما يقتضي أنه لا يستجاب لمثله من كون مطعمه حرامًا أو نحو ذلك، حتى ورد في بعض طرقه (وإن كان كافرًا)، قال ابن العربي: ليس بين الله وبين شيء حجاب عن قدرته، وعلمه، وإرادته، وسمعه، وبصره، ولا يخفى عليه شيء، وإذا أخبر عن شيء أنَّ بينه وبينه حجابًا، فإنما يريد منعه) (تحفة الأحوذي للمباركافوري: ٣/ ٢٦٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله جل جلاله: وعزَّتي وجلالي: لأنصرنَّك، ولو بعد حين" (السلسلة الصحيحة: ٨٧٠).

ولربما تأخرت إجابة الدعوة، ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون، قال سبحانه: « وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ » (إبراهيم:٤٢).

وقال ميمون بن مهران: "في الآية تعزية للمظلوم، ووعيد للظالم" (مساوئ الأخلاق للخرائطي ص ٢٢٠).

ومن أجزل ما روى التاريخ لما حُبس بعض البرامكة وولده قال: يا أبت، بعد العز والأمر والنهي والأموال صرنا في القيد والحبس. فقال: يا بني، لعلها دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها). (الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر ٢/ ١٢٢).

ونقل الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه (تصنيف الناس بين الظن واليقين: ص٢٥) كلاماً لابن القيم يقشعر منه بدن المؤمن في التحذير من الوقوع في الظلم، وخاصة ما يقع في هذا العصر من التطاول والتعدي على الأعراض، والذي لم يسلم منه حتى الصفوة! قال: "كم أورثت التهم الباطلة من أذى للمكلوم بها من خفقة في الصدر، ودمعة في العين، وزفرات تَظَلّم يرتجف منها بين يدي ربه في جوف الليل؛ لَهجاً بكشفها، ماداً يديه إلى مغيث المظلومين، كاسر الظالمين، والظالم يغط في نومه، وسهام المظلومين تتقاذفه من كل جانب؛ عسى أن تصيب منه مقتلاً. فيا لله، ما أعظم الفرق بين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له، وبين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو عليه!" فما أشنع الظلم، وما أفظع عاقبته! ويا ويل من وُجِّهت له سهام المظلومين! فاتقوا الله وخافوه، واعلموا أنكم ملاقوه، واحذروا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وغداً إلى ديان يوم الدين نمضي، وعند الله تجتمع الخصوم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

احذر هذه البدعة

بدعة صلاة الرغائب

إعداد/ **سيد عباس الجليمي**

فمع قدوم شهر رجب من كل عام يتجدد الحديث عن صلاة الرغائب، وهي من البدع المحدثة في شهر رجب، وتكون في ليلة أول جمعة من رجب، بين صلاتي المغرب والعشاء، يسبقها صيام الخميس الذي هو أول خميس في رجب.

وأول ما أحدثت صلاة الرغائب ببيت المقدس، بعد ثمانين وأربعمائة سنة للهجرة، ولم ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولا القرون المفضلة، ولا الأئمة، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وهذا وحده كاف في إثبات أنها بدعة مذمومة، وليست سنة محمودة.

وقد حذر منها العلماء، وذكروا أنها بدعة ضلالة.

قال النووي رحمه الله في "المجموع" (٣/٥٤٨): "الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي ثنتا عشرة ركعة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة، وهاتان الصلاتان بدعتان ومنكران قبيحتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب، وإحياء علوم الدين، ولا بالحديث المذكور فيهما فإن كل ذلك باطل، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما فإنه غالط في ذلك، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا نفيسا في إبطالهما فأحسن فيه وأجاد رحمه الله".

وقال النووي - أيضاً- في "شرح مسلم": "قاتل الله واضعها ومخترعها، فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة وفيها منكرات ظاهرة. وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة في تقبيحها وتضليل مصليها ومبتدعها ودلائل قبحها وبطلانها وتضليل فاعلها أكثر من أن تحصر". انتهى.

وقال ابن عابدين في "حاشيته" (٢/٢٦): " قال في "البحر" ومن هنا يعلم كراهة الاجتماع على صلاة الرغائب التي تفعل في رجب في أولى جمعة منه وأنها بدعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأما إنشاء صلاة بعدد مقدر وقراءة مقدرة في وقت معين تصلى جماعة راتبة كهذه الصلوات المسئول عنها: كصلاة الرغائب في أول جمعة من رجب، والألفية في أول رجب، ونصف شعبان. وليلة سبع وعشرين من شهر رجب، وأمثال ذلك فهذا غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام، كما نص على ذلك العلماء المعتبرون، ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع، وفتح مثل هذا الباب يوجب تغيير شرائع الإسلام، وأخذ نصيب من حال الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله". انتهى. "الفتاوى الكبرى" (٢/٢٣٩).

وسُئل شيخ الإسلام- أيضا- عنها: فقال: "هذه الصلاة لم يصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا رغب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من السلف، ولا الأئمة ولا ذكروا لهذه الليلة فضيلة تخصها. والحديث المروي في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بذلك" "الفتاوى الكبرى" (٢/٢٦٢).

وجاء في "الموسوعة الفقهية" (٢٢/٢٦٢): "نص الحنفية والشافعية على أن صلاة الرغائب في أول جمعة من رجب، أو في ليلة النصف من شعبان بكيفية مخصوصة، أو بعدد مخصوص من الركعات بدعة منكرة.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: صلاة الرغائب موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب عليه. قال: وقد ذكروا على بدعيتهما وكراهيتهما عدة وجوه منها: أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين لم ينقل عنهم هاتان الصلاتان، فلو كانتا مشروعتين لما فاتتا السلف، وإنما حدثتا بعد الأربعمائة". انتهى.

فهل من مدَّكر؟!

احذر هذا الكتاب

كتاب دلائل الخيرات

كتاب «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار»، لا يجوز الاعتماد عليه، لأنه مملوء بالمخالفات الشرعية، والعبارات الشركية، والأحاديث الضعيفة والموضوعة.

وليحذر المسلم من نسبة الكلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يعلم ثبوته عنه، فإن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره.

قال صلى الله عليه وسلم: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار". رواه البخاري (١٠٧) ومسلم (٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: " لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار". رواه البخاري (١٠٦).

وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبِينَ". (رواه مسلم: ١).

وأفضل صيغة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، هي الصيغة التي علمها لأصحابه: فعَن عَبْدَ الرَّحْمَن بْنَ أَبِي لَيْلَى قَال: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: ألا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً: إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَال: فَقُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وعَلَى آلِ مُحَمَّد كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وعَلَى آلِ مُحَمَّد كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. رواه البخاري (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦).

وعن أبي حُمَيْد السَّاعديِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَأَزْوَاجِه وَذُرِّيَّتِه كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّد وَأَزْوَاجِه وَذُرِّيَّتِه كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ. رواه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٦٣٦٠).

قالَ السيوطي رحِمه الله: (قرأت في الطبقات للتاج السبكي نقلاً عن أبيه ما نصه: أحسن ما يصلى به على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكيفية التي في التشهد.

قال: ومن أتى بها فقد صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بيقين، ومن جاء بلفظ غيرها فهو من إتيانه بالصلاة المطلوبة في شك؛ لأنهم قالوا: كيف نصلي عليك؟ فقال: " قولوا " فجعل الصلاة عليه منهم هي قول ذلك.

قال: وقد كنت أيام شبيبتي إذا صليت على النبي صلى الله عليه وسلم أقول: اللهم صل وبارك وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وسلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. فقيل لي في منامي: أأنت أفصح أو أعلم بمعاني الكلم وجوامع فصل الخطاب من النبي صلى الله عليه وسلم؟ لو لم يكن معنى زائد لما فضّل ذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فاستغفرت من ذلك ورجعت إلى النص النبوي.

وقال: لو حلف أن يصلي عليه أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتي بذلك).

وهناك مصنفات أخرى مفيدة في هذا الباب، أمثال كتاب ابن القيم: «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام صلى الله عليه وسلم»، وكتاب السخاوي: «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع»، وكتاب الإمام إسماعيل القاضي بتحقيق الشيخ الألباني، وغيرهما، وانظر صفة الصلاة على النبي وصيغها في «صفة الصلاة» للشيخ الألباني.

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

النمص

(٧)

الحلقة ٩١

إعداد/ **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

سبق في كلامنا عن النمص بالأعداد السابقة مناقشة ما يلي:

ونستكمل البحث بإذن الله تعالى بخاتمته ونتائجه.

خاتمة البحث ونتائجه:

١- كان الداعي لكتابة هذا البحث هو ما قيل وكتب مؤخرًا حول النمص.

٢- صحة الأحاديث التي وردت في النهي عن النمص.

٣- أن سبب ورود حديث ابن مسعود - في رواية من رواياته - أن المرأة التي ذهبت إليه - أم يعقوب- قالت له: إني امرأة زعراء (قليلة الشعر) أيصلح أن أصل في شعري؟، وفي رواية قالت: أنبئت أنك تنهى عن الواصلة؟ فسبب إنكارها على ابن مسعود كان بسبب النهي عن وصل الشعر، وليس بسبب النهي عن النمص.

٤- أن رواية ابن عباس للحديث التي أخرجها أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعنت الواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة، والواشمة والمستوشمة من غير داء».

وأثير تساؤلان: التساؤل الأول: على ماذا يعود الاستثناء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، هل يعود على الوشم فقط، باعتباره أقرب مذكور، فيجوز الوشم إذا كان لداء وعلة، أم أن الاستثناء يعود على سائر المذكورات في الحديث، ومنها النمص؟ ورأينا خلاف أهل العلم في هذه المسألة.

والتساؤل الثاني: لو قصرنا الاستثناء على الوشم فقط، وأنه جائز إذا كان لداء وعلة، فهل يُقاس عليه باقي المذكورات في الحديث: الوصل والنمص أم لا يقاس عليه؟ فقد رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن وصل شعر المرأة التي تزوجت حديثًا وتساقط شعر رأسها؛ لأن هذا من باب زيادة التجميل، لكن ماذا لو تساقط شعر رأسها حتى صارت صلعاء، لا شك أن هذا أمر مختلف، فهي هنا لا تبحث عن التجميل، وإنما تريد إزالة عيب منفر، ينفر منها زوجها، والضرر يُزَال.

٥- ضعف حديث أم المؤمنين عائشة الذي قالت فيه لامرأة تسألها عن شعرات في وجهها: فقالت لها: «أميطي عنك الأذى، وتصنَعي لزوجك كما تصنعين للزيارة». ومن المقرر أن الحديث الضعيف

لا يُؤخذ منه حكم، ومن جوَّز العمل بالحديث الضعيف جوَّز العمل به في فضائل الأعمال بشروط. (انظر العدد ٥٤٣).

وحتى لو صح الحديث، فيُحمَل على إزالة العيب المنفِّر، وسؤال المرأة كان على شعرات في وجهها وليس عن الحاجبين تحديدًا.

٦- خلاصة ما ذكر في كتب اللغة عن النمص لغة:

أ- نتف الشعر من الوجه بخيط أو ملقاط، ب- نتف الشعر من الجبين بخيط أو ملقاط ج- ترقيق الحواجب للتحسين. د- نتف الحواجب.

٧- النمص عند العلماء: اتفق الفقهاء الأربعة تقريبًا: أن النمص يدور بين أخذ الشعر من الوجه، ومن الحاجبين، وأجازوا للمرأة إذا نبت لها شعر لا ينبت للمرأة غالبًا كاللحية والشارب أن عليها أن تزيله: فقال الحنفية باستحباب إزالته، وقال المالكية بوجوب إزالته، وكذلك قال الشافعية بالوجوب إذا أمرها الزوج.

وقال الحنابلة: إن النامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه، لكن جوَّزوا الأخذ عن طريق الحلق؛ لأنه عندهم ليس بنمص. وقال الإمام النووي: النامصة هي التي تزيل الشعر من الوجه.. وهذا الفعل حرام إلا إذا نبت للمرأة لحية وشارب فيستحب إزالته.

وعلق الحافظ ابن حجر على كلام النووي، فقال: وإطلاقه (إزالة الشعر من الوجه) مقيَّد بإذن الزوج. ثم قال: ويقال إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما.

وقال ابن حزم: والنمص هو نتف الشعر من الوجه.

وذكر أبو داود: النامصة التي تنقش الحاجب حتى ترَقه.

أما الإمام ابن جرير الطبري: فقال بالنهي عن إزالة أي شعر في وجه المرأة.

٨- في إنكار ابن مسعود على أم يعقوب أنه رأى جبينها يبرق (يلمع) فقال: أتحلقينه؟ أولاً: فقد عبر بالحلق وليس بالنمص، وإن كان من الممكن حمل الحلق على النمص بقرينة استدلاله عليها بحديث النهي عن النمص، أو يكون ابن مسعود رضي الله عنه يرى الحلق كالنمص. ثانيًا: قد يكون الإنكار عليها في حلق جبينها وليس حاجبيها. وعلى العموم يبقى الدليل هنا على الاحتمال.

٩- اختلاف العلماء في علة المنع عن نمص الحاجبين، فرأى فريقٌ من أهل العلم أن العلة هي الغش والتدليس، لذا جوَّزوا النمص بإذن الزوج، لكن يشكل على هذا أن الزوج أمر بوصل شعر زوجته التي تساقط شعرها، فهنا لم يكتف على الإذن لها، بل أمرها وأمر أمها، بينما رأى بعض أهل العلم أن العلة هي أن النمص شعار الفاجرات، فمتى كان شعارًا لهن امتنع، وإلا فيكون النهى للتنزيه، ورأى فريق آخر من أهل العلم أن العلة هي تغيير خلق الله ابتغاء الحسن – كما هو مصرَّح به في الأحاديث. وهذا هو الراجح لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك في الأحاديث، ولأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم استثناء المتزوجة، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى المرأة المتزوجة عن وصل شعرها، وكل من النمص والوصل والوشم من جنس واحد، ويشملهم حديث واحد.

١٠- أن النهى هنا للتحريم بدلالة لعن النبي صلى الله عليه وسلم للنامصة؛ لأن دلالة اللعن على التحريم من أقوى الدلالات، بل عند بعضهم أنه من علامات الكبيرة.

١١- لو تساقط شعر المرأة بالكلية أو فحُش حاجباها، فهنا يجوز للمرأة علاج تساقط شعر رأسها، وإن استعملت باروكة للشعر، وكذلك أخذ الفاحش من حاجبيها بمقص ونحوه. فهناك فارق بين إزالة عيب منفر، وبين التجميل.

١٢- لم يرد في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم – فيما أعلم تفسير النمص بالأخذ من الحاجبين – وهو الحقيقة الشرعية – لذا انتقلنا إلى تفسير معنى النمص إلى العرف السائد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقت التشريع، ولا يصح أن تحمل هذه الألفاظ على أعراف وعادات حدثت فيما بعدُ. فهل كان من عادة المرأة العربية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الأخذ من حاجبيها (النمص)، فجاء النهي مبنيًا على ذلك؟ لكن ليس بين أيدينا عرفٌ سائد في المسألة، إلا استنباطا من رد أم يعقوب على ابن مسعود رضي الله عنه، لما تخيلت تفشي ذلك بين النساء حتى إن زوجة ابن مسعود تفعله.

١٣- ولما لم نقف على عرف سائد في مسألة النمص في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، انتقلنا إلى اللغة العربية، التي خاطب بها المشرع النَّاس في زمان التشريع، وخلاصة ما وقفنا عليه من شعر العرب ونثرهم في كتب اللغة أن أوسع تعريف لغوي للنمص هو: نتف الشعر من الوجه بالكامل، وأقل تعريف للنمص هو: ترقيق الحواجب. وعملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك

إلى ما لا يريبك» (فإن الاحتياط للدين أن نأخذ بالتعريف الأوسع، ونحمل النمص لغة: على نتف الشعر من الوجه (مع استثناء ما كان عيبًا في وجه المرأة كاللحية والشارب).

١٤- هل كان إنكار ابن مسعود على أم يعقوب من قبيل وقت الخطاب، وبالتالي يسعه أن لا ينكر عليها عندما أنكرت عليه، أم هو وقت حاجة، وبالتالي لا يجوز له أن يؤخر الإنكار عليها (وقت الحاجة: هو الوقت الذي يحتاج فيه المكلف إلى البيان والتوضيح ليمتثل لما أمر به ونهي عنه، وهذا لا يجوز تأخيره بحال، وإلا كلف بما لا يستطيع. أما وقت الخطاب فيجوز فيه تأخير البيان؛ لأنه لم يكلف بالعمل به بعد، انظر العدد ٥٤٢).

ورجحتُ أن إنكار ابن مسعود على أم يعقوب كان وقت حاجة ولم يكن وقت خطاب، بمعنى أنه لا يسعه أن يؤخر لها البيان والتوضيح، لأمور منها: تلبُّسها بما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من ناحية، واتهامها لزوجته بأنها تفعل ما ينهى عنه، ولعدوله عن السبب الرئيس للحوار الذي دار بينهما ابتداءً وهو وصل الشعر إلى حلق الجبين.

١٥- الرد على من اتهم الشيخ الألباني بالتناقض عندما حسَّن حديث العريان بن الهيثم، وضعف حديث امرأة أبي إسحاق، بدعوى أنهما لم يوثقهما إلا ابن حبان فقط، وقد بينا الخلاف الكبير بين حال امرأة أبي إسحاق، وبين حال العريان بن الهيثم، لذا قبل الشيخ الألباني حديث هذا ورد حديث هذه.

١٦- قبول تفرُّد العريان بن الهيثم بزيادة ذكرها في روايته للحديث أن ابن مسعود رأى جبينها يبرق، فقال أتحلقينه.. رغم أن كل من رووا الحديث عن ابن مسعود لم يذكروا هذه الزيادة. (راجع العدد ٥٤٣).

١٧- عدم قبول تفرد يوسف بن موسى القطان، الذي ذكر في روايته لحديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفيها:... إن أول شيء من هذا على امرأتك... (أخرجها البزار). فقد خالف جميع من رووا الحديث عن جرير بن عبد الحميد، وذكروا فيها:... فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك، والفارق أن رواية يوسف بن موسى معناها أن المرأة أنكرت الوشم على زوجة ابن مسعود لأنه أول مذكور، بينما باقي الروايات لم تحدد سبب إنكارها وأطلقت.

١٨- الجمهور على قياس حلق شعر الحاجبين بالموسى ونحوه على النمص، والحنابلة قصروا النهي على النمص فقط، وأن حلق الشعر من الحاجبين لا بأس به؛ لأن الخبر ورد بالنهي عن النمص. ورجحتُ ما عليه الجمهور بناءً على ترجيحي أن العلة عن النهي عن النمص هي تغيير خلق الله تعالى، ولا شك أن هذا واضحٌ في أخذ الشعر بالحلق أيضًا، بل إن الحلق سيؤدي إلى غزارة وكثافة الحاجبين مما يجعلها لا تستطيع أن تستغني عنه بعد ذلك.

١٩- تشقير الحاجبين: من العلماء مَن منعه قياسًا على النمص: بجامع أن كليهما تغييرٌ في خلق الله تعالى، ومنهم من قال بالجواز؛ لأنه من قبيل صبغ الشعر، بشرط ألا يدلس به على خاطب، أو تتزين به لغير المحارم، وهذا ما رجحته.

٢٠- يحرم تغيير خلق الله تعالى على العموم؛ لأن ذلك مما زينه الشيطان للعصاة من الناس (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) (النساء:١١٩)، إلا ما أذن فيه المشرع، فيخرج من هذا النهي العام، كخمس الفطرة، (الختان، والاستحداد، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار)، وكتغيير الشيب بالصبغ، أو سكت عنه المشرع فلم يأمر فيه ولم ينه، كشعر الرقبة والصدر والذراعين... فهذا إذا كثر وزاد فلا بأس بإزالته.

٢١- الشعر النابت بين الحاجبين، من العلماء مَن ألحقه بالحاجبين فنهى عن أخذه، إلا بالضوابط التي ذكرناها، كأن يكون كثيفًا مشوهًا للخلقة، ومن العلماء من قال: إنه ليس من شعر الحاجبين، بل هو من شعر الوجه ويجوز إزالته.

٢٢- الضرورات تبيح المحظورات: وهذه قاعدة من القواعد الفقهية، الكلية الفرعية، وهي من القواعد المهمة، ولها أدلة كثيرة من الشرع، منها قوله تعالى: «وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ» (الأنعام: ١١٩)، فهل يوجد ما يسوغ للمرأة أن تأخذ من حاجبيها (النمص) عملاً بهذه القاعدة؛ فقد جوَّز النبي صلى الله عليه وسلم لعرفجة بن سعد لما قطع أنفه أن يتخذ أنفًا من ذهب رغم تحريم ذلك على الرجال، وكذلك جوَّز لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قمصان حريرية لحكة كانت بهما، رغم تحريم الحرير على الرجال. نعم يجوز العمل بهذه القاعدة بضوابطها من إزالة عيب منفر مشوه لخلقتها، أو لضرورة علاج لا يتم إلا بالأخذ من الحاجبين (مع التذكرة بأن كثافة الحاجبين ليس من هذا الباب)، فهناك فارق بين النمص للتجميل وبين إزالة عيب منفر، هذا والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

إدارة الخجل بين النظرية والتطبيق

إعداد/ **د. ياسر لمعي عبدالمنعم**
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ليس المقصود بالإدارة هنا المعروف والمشهور عن الإدارة بمجالاتها وعناصرها المادية، أو إدارة الأعمال؛ بل نَعْني بها إدارة النفس، وادارة الغير، فأفضلَ ما يُدار إدارة النفس ثم إدارة الغير، ويكون ذلك بعد تقييم للنفس، أو لمن نعولهم من أبناء، أو أشخاص تحت رعايتنا ومسؤوليتنا، وذلك حين يتبين لنا أن هنالك نقاط ضعف عندهم أو عندنا، منها الخجل أو ما يعرف بـ(الرهاب الاجتماعي).

قال صلى الله عليه وسلم: «الحياء كله خير» (صحيح مسلم: ١٦٦).

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ماهي؟» قال عبدالله: فوقع الناس في شجر البوادي، فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة». قال عبدالله: فذكرتُ ذلك لعمر فقال: لأن تكون قلت هي النخلة أحب إليَّ من كذا وكذا. صحيح مسلم رقم (١٤٢).

الشاهد كلمة «فاستحييت» حياء منعه من مقاطعة الكبار، حياء منعه من الكلام دون طلب «الحياء كله خير».

هناك بون شاسع بين الخجل والحياء.. أما الخجل فليس كله خيراً بل منه الخير ومنه الشر، ومنه المحمود ومنه المذموم؛ لذا سوف نُعرِّف الخجل أو كما يسميه علماء النفس (الرُّهاب الاجتماعي).

الرهاب الاجتماعي:

هو الخوف من التحدث أمام جمع من الناس، أو الخروج أمامهم وهذه الصفة توجد حسب الدراسات- والله أعلم- بنسبة من ٣- ٥٪، وهي نسبة تزيد في المجتمع العربي، حتى إنها قد تجعل المريض خائفاً، وربما تصرفه عن الذهاب لمقابلة الطبيب.

وأمثلة ذلك كثيرة تبدو واضحة في المحافل، والملتقيات، والمحاضرات، والندوات.. إلخ.

ولكن سواء كانت هذه المشكلة محدودة أو كبيرة فإنها تعوق الكثيرين عن النجاح في حياتهم الاجتماعية والعملية، حتى إن بعضهم لا يستطيع أن يأكل أمام الآخرين من فرط ارتجاف يده!

وقد أصابت أحد الأشخاص حالة، وانضافت إليها تبعات، فأصبح هذا الشخص عند محادثته للغرباء عنه يتلعثم وينسى الكلام الذي حفظه، وتصير ذاكرته صفراً.

ويعرف هذا المرض النفسي وفق التصنيف العالمي العاشر عام ١٩٩٢م (كتاب الخجل، زيمباردو) بأنه: «الخوف من الملاحظة والتدقيق من قبل الآخرين لتصرفات الفرد كالأكل، أو التحدث أمام الآخرين؛ فيؤدي ذلك إلى تجنب المريض المواقف الاجتماعية».

ويلاحظ من التعريفات السابقة- وغيرها- أنها تشترك في عدد من الخصائص حول بعض النقاط الأساسية، مثل: الخوف من الظهور أمام الناس، وإثارة السخرية، والتدقيق والنقد من الآخرين، وتجنُّب المواقف الباعثة للخوف. هذه الخصائص مشتركة في العديد من التعريفات سواء العربية منها والغربية.

إن الرهاب الاجتماعي يبدأ- حسب الرابطة- عادة في العقد الثاني من العمر من سن ١٣-١٩ سنة، إلا أنه يمكن أن يحدث في أيِّ عمر للذكور وللإناث، وله علامات وأمارات نذكرها إجمالاً للإلمام بها فقط ولوضع طرق للعلاج حسب السن والحالة، وليس للتركيز فيها، أو الوقوف مليّاً أمامها:

١- التحدث أمام الآخرين (جمع من الناس): وكلما كان عدد الحضور أكبر كلما كان الموقف أشد صعوبة، لاسيما أن الكلمة الارتجالية أكثر صعوبة من المكتوبة.

٢- الحديث مع مجموعة من الناس بصوت عالٍ: كالطالب عندما يطرح سؤالاً، أو التعليق على موضوع ما، أو عند إرادة المشاركة في محاضرة.

٣- الحديث مع أصحاب المراكز الإدارية العالية: كالمدير، أو المسئول، وقد يكون القلق شديداً يعجز معه عن طلب إجازة، أو طلب استئذان، أو طلب ترقية، أو طلب زيادة مرتب.

٤- المواقف الأسرية: فلا يستطيع التعبير عن رأيه، أو المشاركة في النقاش.

٥- الأكل أو الشرب في وجود الآخرين: في المناسبات والأماكن العامة كالمطاعم، حيث يعتقد المريض أن الناس تراقبه.

٦- تقديم القهوة والشاي للضيوف: فنراه يحاول التهرب منها، أو تناول شيء من هذه المشروبات من قبل شخص آخر بصورة ترتجف معها يداه.

٧- إمامة الصلاة الجهرية: حيث قد يتعمد الشخص الحضور متأخراً؛ كي لا يقدمه أحد لإمامة المصلين.

٨- الحديث مع الجنس الآخر بالضوابط الشرعية.

٩- حضور المناسبات الاجتماعية: كحفلات الزواج والعزائم والتعزية، والإحجام عن دعوة الآخرين في منزله؛ خشية عدم قدرته على الترحيب بهم، والفشل في حسن استضافتهم ومجاملتهم.

١٠- التحدث في الهاتف أمام الآخرين.

من أعراض الخجل:

١- أعراض سلوكية وتشمل:

- قلة التحدث والكلام في حضور الغرباء.
- النظر دائماً لأي شيء غير مَن يتحدث معه.

- تجنُّب لقاء الغرباء، أو الأفراد غير المعروفين لديه.

- الشعور بالضيق عند الاضطرار للبدء بالحديث أولاً.

- عدم القدرة على الحديث والتكلم في المناسبات الاجتماعية، والشعور بالإحراج الشديد إذا تم تكليفه بذلك.

- التردد الشديد في التطوع لأداء مهام فردية أو اجتماعية (أي مع الآخرين).

٢- أعراض جسدية تشمل:

- زيادة النبض.
- مشكلات وآلام في المعدة.
- رطوبة وعرق زائد في اليدين والكفين.
- دقات قلب قوية.
- جفاف في الفم والحلق.
- الارتجاف والارتعاش اللاإرادي.

٣- أعراض انفعالية داخلية (مشاعر نفسية داخلية) وتشمل:

- الشعور والتركيز على الذات.
- الشعور بالإحراج.
- الشعور بعدم الأمان.
- محاولة البقاء بعيداً عن الأضواء.
- الشعور بالنقص.

بعض وسائل علاج الخجل الشديد (من كتاب دليلك إلى السعادة النفسية):

يعد الخجل الشديد مشكلة اجتماعية منتشرة بشكل واسع؛ ومن ثَمَّ فإن خبراء علم الاجتماع ركّزوا جهودهم على إيجاد وسائل وطرق لمعالجة هذه الظاهرة المَرَضية، وهناك معالجون متخصصون يعالجون مشاكل الخجل الشديد باستخدام الطرق التالية:

- تعليم وتدريب الأفراد أصحاب الخجل على اكتساب المهارات الاجتماعية الفردية للاتصال والتفاعل مع الآخرين.

- تعليم أنماط التفكير السليم والمنطقي في التعامل مع الآخرين.

- تعليم وتدريب الفرد على زيادة ثقة المريض بنفسه، وقدراته، وبأهميته كفرد في المجتمع.

- مواجهة وإزالة أسباب الخجل من خلال تعريضه تدريجياً لخبرات اجتماعية إيجابية.

ومن أفضل الطرق المتبعة لعلاج هذه الظاهرة (الخجل) طريقة تسمى بالتمثيل، أو تقمُّص الأدوار والمواقف، بحيث يقوم المريض بالتظاهر بتمثيل دور إيجابي في مواقف تسبب الإحراج له، مثل التظاهر بالاتصال مع الآخرين، وبدء حديث معهم وبمرور الوقت يتحول هذا التظاهر والتمثيل إلى سلوك فعلي حقيقي في الحياة الواقعية العادية.

- تدريبه على تولي زمام المبادرة في مساعدة نفسه على التخلص من الخجل.

ويقدم زيمباردو النصائح التالية لأصحاب الخجل الشديد:

- اكتب على الورقة ما الذي تنوي القيام به، وأسباب ترددك في القيام به، ثم قيِّم نفسك من خلال تسجيل عدد المرات التي قمت فيها بالفعل بتنفيذ ما نويت، وعزمت على أدائه، وماذا حدث لك بعد أن نفذت ما نويت.

- اعمل فوراً على تنمية مهاراتك الاجتماعية.. إن تنمية المهارات الاجتماعية الخاصة بالاتصال والتفاعل مع الآخرين ضرورة ملحة في علاج الخجل الشديد حسب رأي (زيمباردو).

بعض النصائح في تنمية المهارات الاجتماعية:

- كن البادئ في الحديث مع الآخرين، ومن أفضل وسائل افتتاح الحديث هو الثناء، أو إبداء الإعجاب بصفة، أو بشيء معين في الآخرين.

- ألق التحية يومياً على خمسة أشخاص غرباء على الأقل لا تعرفهم، ولا تنسَ أن تكون مبتسماً عند إلقاء التحية.

- اخرج للسوق واسأل عن أماكن أو محلات معينة حتى لو كنت تعرف مكانها وكيفية الوصول إليها، المهم أن تبادر الآخرين بالحديث، ولا تنسَ أن تشكر من سألتهم على لطفهم وأدبهم عند إرشادهم لك للعنوان المطلوب.

هذا، وصَلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أُصُولُ الآدَابِ وَجَوَامِعُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ
الأَمَانَةُ فِي زَمَنِ الزَّمَانَةِ

علاج ضعف الأمانة

الحلقة السادسة

إعداد/ د. عماد عيسى

الحمد ولي الإنعام، والصلاة والسلام على أفضل نبي وخير ختام، وعلى آله الغر الكرام، وأصحابه أئمة الهدى وسرج الظلام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث الآخر ويوم يكون لرب العالمين القيام وبعد ؛ فالحديث عن علاج الأمانة حديث يأكل كل حديث، وخبرٌ يطوي كلَّ خبر، ومن أجل ذلك نسوق بين أيدينا سُبُلاً وَاقيَةً منَّ هَذه اللأَّغية، كَتَبتُها على سبيلِ الاسْتعْجَالِ مع تعاقُبِ الهمُوم وتكَاثُرِ الأشغالِ، والله أرجو أن يُبارِكَ في الأوْقَّات ويُعِينَنا على حُسْنِ العَمَل فيها مع تَفريجِ الكربات، هذا، وقد قَصَدْتُ - والله من وراءِ ذلك- أَنْ يَكُونَ فيهَا إرْوَاءُ الْغُلَلِ، وَحرصتُ أن يحدُثَ بها شفَاءُ الْعللِ منْهَا مَا يَلي:

أَوَّلاً: تَعْظِيمُ شَأنِ الأَمَانَةِ وَتَعْظِيمُ أَهْلِهَا:

أمَّا تعظيمُها فيكونُ بإقامة عمادها، وإرْسَاء قواعدها وأوتادها، وتلقِّيها بالقَبول والتَّسليم، والأَخْذ بها جدَّ الأخْذ بالتَّعليم مَصْحوبًا بالتَّعْظيم، وإجْرائها على سَنَنٍ ثابتَة وطُرُقٍ واحدة فلا يَسُومُها النَّاسُ تأويلاً، ولا يحرفون معناها تَبْديلاً.

وَأَمَّا تعظيمُ أهلهَا فذَلكَ بإجْلالهمْ وَتوْسيد الأمُور إلَيْهمْ، وإبْعاد مَنْ لَّمْ تَعْلُ في الأَمانَة درجتُه، ولَمْ تكْتَملْ فيها آلتُه حتَّى لا يُفْسد بصورة جليَّة، ويأتي أمورًا غيرَ مَرْضيَّة، فَيُحدثَ أخلاقًا رَديَّةً، ومثلُ هذا الصِّنف من الخَلْق لو شَهد على تَمْرَتَيْن لم تجُزْ شهَادتُه، ولم تُقْبلْ أمانَتُه فيَنْبَغي أن يُقْصَى، وقد جاء في كتاب الله العزيز مثلين عظيمين من نبيَّيْن كريمين، الأول: قصة موسى الكليم مع بنت الرجل الصالح عندما وَرَدَ مَاءَ مَدْينَ قَالَ تعَالَى في سياقها: « قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ» (القصص: ٢٦).

ذكر ابن كثير في تفسيره (١٠/٤٥٢) عن عمر، وابن عباس، وشريح القاضي، وأبي مالك، وقتادة، ومحمد بن إسحاق، وغير واحد أنه: لمَّا قالتْ: (إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمينُ) قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإنه لما جئتُ معه تقدمْتُ أمامَهُ، فقال لي: كُوني من ورائي،

فإذا اجتنبت الطريقَ فاحذفي لي بحصَاة أَعْلَمُ بها كيفَ الطَّرِيقُ لأهتدي إليْه، وقال سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله- هو ابن مسعود- قال: أفْرَسُ الناس ثلاثةٌ: أبو بكر حينَ تفرَّس في عُمَر، وصاحبُ يوسف حين قال: (أَكْرِمِى مَثْوَنٰهُ) (يوسف: ٢١)، وصاحبةُ موسى حين قالتْ: «يَا أَبَت اسْتَأْجِرْه إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ». اهـ.

وقال ابن حجر: وَرُوِيَ منْ طَرِيق عليِّ بْن أبي طَلْحَةَ عَن ابن عَبَّاس في قَوْله: " إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ " قَالَ: قَوِيٌّ فيمَا وُلِّي، أَمِينٌ فيمَا اسْتُودِعَ، وروى من طَرِيق ابن عَبَّاس وَمُجَاهد في آخرينَ: أنَّ أبَاهَا سَألَهَا عَمَّا رَأَتْ منْ قُوَّته وَأَمَانَته، فَذَكَرَتْ قُوَّتَهُ في حَال السَّقْي، وَأَمَانَتَهُ في غَضّ طَرْفه عَنْهَا، وَقَوْله لَهَا: امْشي خَلْفي وَدُلِّيني عَلَى الطَّرِيق " وَهَذَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقيُّ بإسْنَاد صَحيح عَنْ عُمَرَ بْن الْخَطَّاب وَزَادَ فيه " فَزَوَّجَهُ وَأَقَامَ مُوسَى مَعَه يَكْفيه وَيَعْمَلُ لَهُ في رعَايَة غَنَمه ". (فتح الباري: كتَابُ الإجَارَة- بَابُ اسْتئْجَار الرَّجُل الصَّالح وَقَوْل اللَّه تَعَالَى إنَّ خَيْرَ مَن اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِين ٤/٥١٥).

والثاني: قصة يوسف عليه السلام حينما خرج من السجن بعد أن برأته امرأة العزيز ونسوة المدينة، قال تعالى في ذلك: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» (يوسف: ٥٥).

قال ابن كثير: (حَفيظٌ) أي: خازن أمين، (عَليمٌ) ذو علم وبصرَ بما يتولاه اهـ (تفسير ابن كثير ٥٢/٨) فانظر إلى هذين النبيين كيف أديا الأمانة على وجهها وقاما بها حق القيام؟!

ثانيا: تنشئة الأجيالِ عليها بغرسها في نفوسهم:

إذَا كانَ لكُلِّ أُناس مَألَفٌ منْ طبَاعهمْ فإن منَ المُهمَّات اللاَّزمَات، وَالْوَاجبَات المُحَتَّمَات تَرْبيَةُ الأجْيَالِ عَلَى هَذه الْخَلَّة حَتَّى تُصْبحَ نُفُوسُهُمْ زَكيَّةَ التُّرْبَة، طَيِّبَةَ المَنْبَت، بَاسقَةَ الْفَرْع، يَانعَةَ الثَّمَرَة، وَيَنْبَغي أنْ يَكُونَ مَعَ هَذه التَّرْبيَة الْحرْصُ عَلَى تعَاهُدهَا بسَقْيهَا الْفَضَائل، وَتَنْقيَتهَا منَ الرَّذَائل، وَإجَادَة غَرْسهَا في نُفُوسهمْ ؛ لا سيَّما وَهيَ غَضَّةٌ طَريَّةٌ لا تَزَالُ فيهَا النَّضَارَةُ وَالْغَضَارَةُ، فَإنَّ مَنْ ارْتَضَعَ الأَمَانَةَ بُعَيْدَ الْفطَام، وَاحْتَسَى مَحَبَّتَهَا قَبْلَ اشْتدَاد الْعظَام، تَزُولُ الْجبَالُ الرَّوَاسي وَلاَ تَزُولُ الأمَانَةُ منْ نَفْسه ؛ إذْ تصيرُ حينَئذ سَجيَّةَ وَخلاَقًا لاَ يَكادُ المرءُ يُفَرِّطُ فيهَا المَرْءُ وَلَوْ جَادَ بآخر الأنْفَاس.

وَحينَهَا تُصبحُ أخلاقُ الأُمَّة أشَدَّ عَضُدًا، وأكْثَر عَمَدًا، وأقل خَسَاسةً وأَبْعَدَ من الضَّعْف والمهَانَة، قَالَ تَعَالَى: "وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بإذْن رَبِّه وَالَّذي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إلاَّ نَكدًا " الأعراف: ٧. وقال صلى الله عليه وسلم: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعيَّته " متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصدق القائل:

كُلُ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشيمَته
وَإنْ تَمَتَّعَ أخْلاقًا إلَى حينِ

إن المسلمين أحوجُ إلى الأمَناء من حاجَة النَّاس إلى ماء السَّماء، فلاَ بُدَّ من إعْدَاد أجْيَالٍ تكون كالجَبَل الذي نُفخَتْ فيه الرُّوح ليُصبحوا قُرَّةَ عَيْنٍ وانشراحَ صدر ممَّن تمْلأ رؤيتُه القلب والنَّحر فيفزع النَّاسُ إليه، ويكون ميزانًا يُوزَن به المرءُ ويُقاس عليه، بل يكون من البُزَّل الكُمَّل الذين إذا ذُكروا قيل: حسبُكَ به، أمَّا مَنْ أهْمل إهمال البهائم وتُرك يَسير سَيْرَ الهَائم حَتَّى اشْتدَاد الْعُود وَاسْتوَاء الأشُدّ فَلَنْ يَصْلحَ مَعَهُ شَيْءٌ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللَّه إذْ هُوَ شَيْءٌ قَدْ فَاتَ دَرْكُهُ نَسْألُ اللَّه الْهدَايَةَ وَنَعُوذُ به منَ الْغوَايَة.

لقد كانتْ أجْيَال قَبْلَنا أفْضَتْ إلى مَا قَدَّمتْ تَعَضُّ على الأمانَة بالنَّواجذ وتُمْسك بعنَانها، وتَأْخُذ بأهْدَابها فَبُورك لَهم فيها مع ضَحالة علْمهم وضآلة عَمَلهم، ثم لم تزل هذه الأمانة في تَنَاقُص وذَهَاب وإدْبَار بسبَب عَدَم زَرْعها في قلوب الشَّباب والأبْنَاء حَتَّى كانَ ما قَالَ القَائل:

تغيَّرَتِ البلادُ ومَنْ عليْهَا
فوجْهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قَبيح
تَغَيَّر كلُّ ذي لونٍ وطعمٍ
وقلَّ نضارةُ الوجْه المليح

إنَّ مَنْ يتدبَّر حالَ الأمة تنزف عَيْنُه وتَسحُّ دمعًا سَخينًا لا تَرْقَأ مَآقيه على ضَيَاع أجْيَالٍ كانَ يؤمَّل للإسْلاَم منْ وَرَائها خيرٌ عميمٌ ونبأٌ عظيمٌ وبلغ الحال بالمرء حينما يرى شَبَابًا بَعيدًا

شاردًا يُعَزِّي نفسَه في أُمَّته من غَيْر أن يَفْقدَ الأمَل لكنَّه يَرَى أنَّ هَذَا العَزَاء من أَجْلِ إِبْطَاء النَّصر وتأخُّر التَّمكين بتَغَيُّر الأخْلاَق وتَنَكُّر من لَيْسَ له خلاقٌ وهم كُثُر بل ساموا الذباب كثرة وعددًا وغلَبُوا الأمَّة على أمرِهَا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عَزَّ العزاءُ وأَعْوَزَ الإلْمَامُ
واسْتَرْجَعَتْ مَا أَعْطَت الأيَّامُ
فَدَع العُيُونَ تَسحُّ يَوْمَ فِرَاقِهِمْ
عوَضَ الدُّمُوعِ دَمًا فَلَيْسَ تُلاَمُ
بَانُوا فلاَ قَلْبي يَقَرُّ قَرَارُهُ
أَسَفًا ولاَ جَفْني القَرِيحُ يَنَامُ
فَعَلَى الذين فقدتُّهُم وعدمتُهُم
منِّي تحيةَ مُوجَعٍ وسَلاَمُ

إنَّ أُمَّةَ تَعْوزُهَا الأمانةُ لأُمَّةٌ لاَ تَسْتَحِقُّ الحيَاةَ بَينَ الأمَم، وإنَّ جِيلاً لا يكونُ وثيقَ الأسباب بالأمانة لَجيلٌ عاجزٌ عن حَمْل أمَانَة المِلَّة التي عَجَزَتْ عَنها السماواتُ والأرضُ والجبالُ وأشفقنَ منْها إذ إنه يؤثر الغبينةَ على الربح وهو يجد عليه دليلاً، وقد يسَّرَ الله إليه سَبيلاً، ولذا فالأمْرُ جدٌّ لا هَزْلَ مَعَهُ وحق لا باطلَ فيه فَلاَ تَتَمَارَوْا بالنُّذُر.

إنَّنا إذَا لم نُربِّ أَجْيَالَنَا عَلى الأمَانَة فَسَيَبيتُ بينهم وبينها حِجَابًا مَسْتُورًا قد لا نَسْتَطيع كشفه وهتكه ما طال الزمانُ، وحاجزًا منيعًا لا نَبْلُغُ منهم زَوَالَه ولا اقتحَامَه ما تَعَاقَبَ المَلَوَانُ، بل يُصْبِحُ على قلوبهم أَكِنَّةً أن يفقَهُوهَا ويَعْلَمُوهَا ويعْمَلُوا بهَا، ولا نَزَالُ نطَّلعُ على خائنة منهم إلاَّ قليلاً منهم. فلابد أن يُشهرَ العُلَماء وطَلَبةُ العلْم والدُّعَاةُ والغَيُورون عَلَى دينهم وأمتهم قولةَ الحق الداعيةَ إلى الأمانة، والكاشفَةَ عن خَلاَئق الخَائنينَ والمُلَبِّسينَ والمُنْتَحلين، وأَن يَضْربوا ممَّنْ يَخْدَعُ كلَّ بَنَان، وأَنْ يُشَرِّدُوا بمَنْ يَخُون ويَغُشُّ؛ ليَكُونَ عبْرَةً لمَنْ خَلْفَهُ ممَّنْ سَوَّلتْ لهمْ أنفُسُهم وكلٌّ مَجْزيٌّ بعَمَله ومَا ربُّكَ بظَلاَّم للْعَبيد.

ومن الآثار الدَّالَّة على أَهَمِّيَّة تَعْويد النَّشْء على الأَمَانَة ما قَالَه الفُضَيْلُ بن عياض: أَصْلُ الْإِيمَانِ عِنْدَنَا وَفَرْعُهُ بَعْدَ الشَّهَادَة وَالتَّوْحيد وَبَعْدَ الشَّهَادَةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ بِالْبَلاَغِ وَبَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِض صدْقُ الْحَديث، وَحفْظُ الأَمَانَة، وَتَرْكُ الْخيَانَة، وَالْوَفاءُ بالْعَهْد، وَصلَةُ الرَّحم، وَالنَّصيحَةُ لجَميع الْمُسْلمينَ، وَالرَّحْمَةُ للنَّاسِ عَامَّةً. السنة لعبد الله بن أحمد ١ / ٣٧٤.

ثالثا: نشر فضائلها ومناقبها:

تَرغيبُ الناس في الأمَانة وحثُّهم عليها هو في ذاته أمانةٌ محضةٌ جُعلَتْ في أعنَاق المُصلحين والدُّعَاة والهُدَاة، ولا يكونُ أداءُ أمانة الحثِّ على الأمانة ودعوة الناس إليها إلا بنَشْر فضائلها التي يَجلُّ عن وَصْفهَا البَنَانُ ويَكلُّ عن نَعْتهَا اللِّسَان.

ويكون ذلك بالكلَم الطَّيِّب وجيِّد المَقَال مَشفُوعًا بضَرْب الأمْثَال ليَنْصُرَ القولَ العملُ ويكون أيضا بإظهار المَنَاقب والتَّحْذير من الوُقُوع في المَثَالب.

أمَّا تركُ النَّاشئَة لا تُدْرك الأمانَةَ ولا تَعْرف منْهَا قلاَ من كُثْر فهؤلاء إن لَمْ يُتَدَارَكوا ويُلحَقُوا سَيَدْفعُونَ في صُدُور الأمَانَة وأَعْجَازها وسيَصْرفُونَهَا عن حَقيقَتها بل عن مَجَازها، فتَذْهبُ عنهم مُوَلِّيَةً على أَدْبَارها ولا يبْقَى منها عَيْنٌ ولا أَثَرٌ، يَرَى ذلك كلُّ ذي عَيْنَيْن وكلُّ ذي قَلْب حَيٍّ.

وَمَهْمَا تَكُنْ عنْدَ امْرئٍ منْ خَليقَة
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاس تُعْلَمِ

إنَّ نشرَ فَضَائل الأمَانة وإعْلاَء قيمتها بينَ العبَاد تُخْمد أنفَاسُها ريحَ الخيَانَة وتُطفئُ مصابيحُها شرارَةَ تلك الجنَايَة.

أيُّها الإخْوَةُ إنَّ الزَّمان قد اقْتَرَبَ والحالَ قد مَرَجَ واضْطَرَبَ، وبعد أن كان الناس في حلاوة الأمانة كالرُّطَب صارُوا بعد ضَعْف الأمَانَة كعُود الحَطَب،وسَاءَ حالُهم بَعْدَ ما سَرَّ، وقلَّ عَيشُهم وأَمَرَّ بعد ما دَرَّ وأقَرَّ، فإلاَمَ التَّرْك للأمانَة إلاَمَ؟ وكيفَ يغفُل الناسُ وتَتَنَاسَى أمتُنَا العظيمَة تلكَ الأمَانَة؟! وفقدُها - والله - نازلَةٌ تَصْغر دونها كلُّ نازلَة، وفادحَة تُطَبِّق الأرضَ وتَمْلَؤُها ما بين الطُّول والعَرْض.

وكَيْفَ تنَامُ العَينُ ملْءَ جُفُونها
على هَفَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كلَّ نَائِمِ

والى لقاء قادم أستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم.

باب العقيدة

الحلقة الثامنة

توحيد الأسماء والصفات

إعداد/ **د. صالح الفوزان**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نتناول في هذا العدد مبحثًا مهمًا من مباحث العقيدة، ألا وهو مبحث توحيد الأسماء والصفات، ويتضمن ما يلي:

أولاً: الأدلَّـةُ من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات.

ثانيًا: منهج أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

ثالثًا: الردُّ على من أنكر الأسماء والصفات، أو أنكر شيئًا منها.

أولاً: الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات

أ- الأدلة من الكتاب والسنة

سبق أن ذكرنا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيدُ الرُّبوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وذكرنا جملة من الأدلة على النوعين الأولين: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية. والآن نذكر الأدلة على النوع الثالث: وهو توحيد الأسماء والصفات.

فإليك شيئًا من أدلة الكتاب والسنة: فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: «وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (الأعراف: ١٨٠).

أثبت الله سبحانه في هذه الآية لنفسه الأسماء، وأخبر أنها حُسنى. وأمر بدعائه؛ بأن يُقال: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا حي يا قيوم، يا رب العالمين. وتوعَد الذين يُلحدون في أسمائه؛ بمعنى أنهم يميلون بها عن الحق؛ إما بنفيها عن الله، أو تأويلها بغير معناها الصحيح، أو غير ذلك من أنواع الإلحاد. توعدهم بأنه سيُجازيهم بعملهم السيئ.

وقال تعالى: « ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ » (طه: ٨)، « هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » (الحشر: ٢٢-٢٤).

فدلت هذه الآيات على إثبات الأسماء لله.

٢- ومن الأدلة على ثبوت أسماء الله من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة) (متفق عليه). وليست أسماءُ الله منحصرة في هذا العدد، بدليل ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (أسألُكَ بكُلِّ اسم هو لَكَ، سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلتَهُ في كتابكَ، أو علَّمتَهُ أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي) الحديثَ (رواه أحمد في المسند وصححه ابن حبان)- وقد دلَّ على عدم حصر أسماء الله في تسعة وتسعين. فيكون المراد بالحديث- والله أعلم- أن من تعلم هذه الأسماء التسعة والتسعين ودعا الله بها وعبده بها دخل الجنة ويكون ذلك خاصية لها).

وكل اسم من أسماء الله، فإنه يتضمن صفة من صفاته؛ فالعليمُ يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة، والسَّميعُ البصير يدلان على السمع والبصر، وهكذا كلُّ اسم يدل على صفة من صفات الله تعالى، وقال تعالى: «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ » (سورة الإخلاص).

عن أنس رضي الله عنه قال: كانَ رجلٌ من الأنصار يؤمهم في مسجد قُباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به؛ افتتح بـ(قل هو الله أحد)، حتى يفرغ منها، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنعُ ذلك في كل ركعة، فكلَّمهُ أصحابهُ فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى! فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ

بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلتُ، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر. فقال: (يا فلانُ، ما يمنعُك أن تفعلَ ما يأمرك به أصحابُك؟ وما حملكَ على لزوم هذه السُّورة في كل ركعة)؟ قال: إني أحبُّها، قال: (حبُّك إياها أدخَلكَ الجنَّة) (رواه البخاري في صحيحه).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثَ رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختمُ بـ(قل هو الله أحد)، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (سلوه: لأي شيء يفعل ذلك)؟ فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (أخبروه أن الله تعالى يحبه) (رواه البخاري في صحيحه). يعني أنها اشتملت على صفات الرَّحمن.

وقد أخبر سبحانه أنَّ له وجهًا، فقال: «وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ» (الرحمن: ٢٧).

وأن له يدين، فقال: «لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ» (ص: ٧٥)، «بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ» (المائدة: ٦٤).

وأنه يرضى ويحب ويغضب ويسخط، إلى غير ذلك مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

ب ـ وأما الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات التي دلَّ عليها الشرع فهو أن يُقال:

١- هذه المخلوقات العظيمة على تنوعها، واختلافها، وانتظامها في أداء مصالحها، وسيرها في خططها المرسومة لها، تدل على عظمة الله وقُدرته، وعلمه وحكمته، وإرادته ومشيئته.

٢- الإنعام والإحسان، وكشف الضر، وتفريج الكربات؛ هذه الأشياء تدلُّ على الرحمة والكرم والجود.

٣- والعقاب والانتقام من العصاة؛ يدلان على غضب الله عليهم وكراهيته لهم.

٤- وإكرامُ الطائعين وإثابتهم؛ يدلان على رضوان الله عنهم ومحبته لهم.

ثانيا: منهجُ أهل السنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته

منهج أهل السُّنَّة والجماعة: من السلف الصالح وأتباعهم: إثباتُ أسماءِ الله وصفاته، كما وردت في الكتاب والسنة، وينبني منهجهم على القواعد التالية:

١- أنهم يُثبتون أسماء الله وصفاته؛ كما وردت في الكتاب والسنة على ظاهرها، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني، ولا يؤولونها عن ظاهرها، ولا يُحرفون ألفاظها ودلالتها عن مواضعها.

٢- يَنفونَ عنها مشابهة صفات المخلوقين، كما قال تعالى: «لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ» (الشورى: ١١).

٣- لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة؛ في إثبات أسماء الله وصفاته، فما أثبته الله ورسوله من ذلك أثبتوه، وما نفاهُ الله ورسولُه نفوه، وما سَكتَ عنه الله ورسوله سكَتُوا عنه.

٤- يعتقدون أنَّ نصوصَ الأسماء والصفات من المحكَم الذي يُفهم معناه ويُفسَّر، وليست من المتشابه؛ فلا يُفوِّضون معناها، كما يَنسبُ ذلك إليهم مَن كَذَبَ عليهم، أو لم يعرف منهجهم من بعض المؤلفين والكتاب المعاصرين.

٥- يُفوِّضونَ كيفية الصفات إلى الله تعالى، ولا يبحثون عنها.

ثالثًا: الرَّدُّ على من أنكرَ الأسماءَ والصِّفات، أو أنكر بعضها الذين يُنكرون الأسماءَ والصفات ثلاثةَ أصناف:

١- الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهؤلاء يُنكرون الأسماء والصفات جميعًا.

٢- المعتزلة: وهم أتباعُ واصل بن عطاء؛ الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهؤلاء يُثبتون الأسماءَ على أنها ألفاظ مُجرَّدة عن المعاني، وينفون الصفات كلها.

٣- الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم، وهؤلاء يثبتون الأسماءَ وبعضَ الصِّفات، وينفون بعضها، والشبهة التي بنوا عليها جميعًا مذاهبهم: هي الفرارُ من تشبيه الله بخلقه بزعمهم؛ لأن المخلوقين يُسمَّون ببعض تلك الأسماء، ويُوصفون بتلك الصفات، فيلزمُ منَ الاشتراك في لفظ الاسم والصفة ومعناهما: الاشتراك في حقيقتهما، وهذا يَلزمُ منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم، والتزموا حيال ذلك أحد أمرين:

أ ـ إما تأويل نصوص الأسماء والصفات عن ظاهرها، كتأويل الوجه بالذات، واليد بالنعمة.

ب ـ وإما تفويض معاني هذه النصوص إلى الله، فيقولون: الله أعلم بمراده منها؛ مع اعتقادهم أنها ليست على ظاهرها.

وأول من عُرفَ عنه إنكار الأسماء والصفات: بعضُ مشركي العرب، الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى: «كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ» (الرعد: ٣٠).

وسببُ نزول هذه الآية: أنَّ قريشًا لما سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: «وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ». وذكر ابن جرير أن ذلك كان في صلح الحديبية؛ حين كتب الكاتبُ في قضية الصلح الذي جرى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقالت قريش: أما الرحمن فلا نَعرفهُ.

وروى ابنُ جرير أيضًا عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدًا يقول: «يا رحمن يا رحيم» فقال المشركون: هذا يَزعمُ أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى. فأنزل الله: «قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ» (الإسراء: ١١٠).

وقال تعالى في سورة الفرقان: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ» (الفرقان: ٦٠).

والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول:

أن الله سبحانه وتعالى أثبتَ لنفسه الأسماءَ والصفات، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، فنفيُها عن الله أو نفي بعضها: نفيٌ لما أثبته الله ورسوله، وهذا محادة لله ورسوله.

الوجه الثاني:

أنه لا يلزم من وجود هذه الصفات في المخلوقين، أو من تسمِّي بعض المخلوقين بشيء من تلك الأسماء المشابهة بين الله وخلقه، فإن لله سبحانه أسماءً وصفات تخصه، وللمخلوقين أسماء وصفات تخصهم، فكما أن لله سبحانه وتعالى ذاتًا لا تشبه ذوات المخلوقين، فله أسماء وصفات لا تشبه أسماءَ المخلوقين وصفاتهم، والاشتراك في الاسم والمعنى العام لا يوجب الاشتراك في الحقيقة، فقد سمَّى الله نفسَهُ عليمًا، حليمًا، وسمَّى بعض عباده عليمًا، فقال: «وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ» (الذاريات: ٢٨) يعني إسحاق، وسمى آخر حليمًا، فقال: «فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ» (الصافات: ١٠١) يعني إسماعيل، وليسَ العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

وسمَّى نفسه بالرؤوف الرحيم فقال: «إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحج: ٦٥)، وسمَّى بعضَ عباده رؤوفًا رحيمًا، فقال: «لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (التوبة: ١٢٨)، وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيمُ كالرَّحيم.

وكذلك وصف نفسَهُ بصفات، ووصَفَ عباده بنظير ذلك، مثل قوله: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ» (البقرة: ٢٥٥) فوصف نفسَهُ بالعلم، ووصف عباده بالعلم، فقال: «وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» (الإسراء: ٨٥)، وقال: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ» (يوسف: ٧٦)، وقال: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ» (القصص: ٨٠)، ووصف نفسه بالقوة فقال: «إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ» (الحج: ٤٠)، «إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ» (الذاريات: ٥٨)، ووصف عبادهُ بالقوة فقال: «ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً» (الروم: ٥٤)، إلى غير ذلك.

فلا يلزمُ من الاشتراك في الاسم والمعنى الاشتراك في الحقيقة؛ وذلك لعدم التماثل بين المُسَمَّيين والموصوفين، وهذا ظاهر، والحمد لله.

الوجه الثالث:

أنَّ الذي ليس له صفات كمال، لا يصلح أن يكون إلهًا؛ ولهذا قال إبراهيم لأبيه: «لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ» (مريم: ٤٢).

وقال تعالى في الرد على الذين عبدوا العجل: «أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا» (الأعراف: ١٤٨).

الوجه الرابع:

أنَّ إثباتَ الصفات كمالٌ، ونفيها نقص، فالذي ليس له صفات، إما معدومٌ وإما ناقص، والله تعالى مُنزَّه عن ذلك.

الوجه الخامس:

أنَّ تأويلَ الصفات عن ظاهرها لا دليلَ عليه، فهو باطلٌ، وتفويض معناها يلزم منه أن الله خاطبنا في القرآن بما لا نفهم معناه، وأمرنا بتدبر القرآن كله، فكيفَ يأمرنا بتدبر ما لا يُفهم معناه؟

فتبين من هذا أنه لابد من إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله، مع نفي مشابهة المخلوقين، كما قال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١).

فنفى عن نفسه مُماثلة الأشياء، وأثبت له السمع والبصر، فدل على أن إثبات الصفات لا يلزم منه التشبيه، وعلى وجوب إثبات الصفات مع نفي المشابهة، وهذا معنى قول أهل السنة والجماعة في النفي والإثبات في الأسماء والصفات: إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أخطاء الآباء في تربية الأبناء

الافتتان بالأولاد والإعجاب الزائد بهم

إعداد/ **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: نتابع في هذا العدد الحديث عن أخطاء الآباء والأمهات والمعلمين والمربين في تربية الصغار، فنقول وبالله التوفيق:

سادسًا: الافتتان بالأولاد والإعجاب الزائد بهم

تربية الأبناء مسئولية الآباء، ربما يهملها الآباء مستسهلين الإهمال فيها، ولعدم ظهور آثار ذلك مبكرًا، فإذا كبر الولد وجاء الموعد، وحان وقت القطاف؛ جاءت الثمرة مُرة حنظلية، فبدأ الآباء يشتكون بل يصرخون مما آل إليه أمر أبنائهم، ناسين أو متناسين أنهم كانوا السبب الرئيس وراء تلك المرارة، قصدوا أو لم يقصدوا.

فمن الآباء مَن يُعجَب بطفله إعجابًا شديدًا يصل إلى حد الافتتان به، فيبدأ يذكره أمام الناس في المجالس، ويُبدئ في مدحه ويعيد، فهو العبقري الوحيد، فيتجاوزون ويسكتون عن زلاته، ولا يصلحون له هفواته، ولا يدري ذلك الأب المسكين أنه يعرض ابنه بهذا الأسلوب إلى خطر شديد. بل أخطار متعددة.

الأولاد فتنة:

وقد حذر الإسلام العظيم من هذا السلوك الذي يفتت الأسرة ويضعفها ويعرضها لرياح التمزق والاضطراب، وعاقبة السوء.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: (اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ حَذَّرَنَا مِنْ آفَات الأَمْوَال وَالأَوْلَاد، وَنَبَّه عَلَى الْمَفَاسِد النَّاشِئَة مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: « وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ » (الأنفال/٢٨). تفسير القرطبي (١١/ ٨٠).

وقال البغوي في هذه الآية: (عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أُتِيَ بِصَبِيٍّ فَقَبَّلَه، وَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ وَإِنَّهُمْ لَمِنْ رَيْحَان اللَّه عَزَّ وَجَلَّ». وَأَنَّ اللَّه عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ، لِمَنْ نَصَحَ اللَّه وَرَسُولَهُ وَأَدَّى أَمَانَتَهُ). تفسير البغوي (٢/٢٨٦).

ومعنى (مَبْخَلَةٌ): أَيْ: مُسَبِّبٌ وَمُحَصِّلٌ لِلْبُخْل، يَحْمِلُ أَبَوَيْه عَلَى الْبُخْل، وَيَدْعُوهُمَا إِلَيْه فَيَبْخَلَانِ بِالْمَال لِأَجْلِه. (مَجْبَنَةٌ): أَيْ: بَاعِثٌ عَلَى الْجُبْن، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَال مَحَبَّتِهِمْ وَغَايَة مَوَدَّتِهِمْ حَتَّى يَخْتَارَ أَكْثَرُ النَّاس حُبَّهُمْ عَلَى

مَحامد الْمَحاسن الرَّضيَّة وَالأُمُور الْمَأْمُور بهَا في الشَّرِيعَة الْحَنَفيَّة، النَّافعَة لهُمْ في الْقَضَايَا الدِّينيَّة وَالدُّنْيَوِيَّة. فالْوَلَدُ مُوقعٌ أَبَاهُ في الْجُبْنِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُقْتَلَ في الْحَرْبِ، فَيَضِيعَ وَلَدُهُ بَعْدَهُ، وَفي الْبُخْل إبْقَاءً عَلَى مَاله لَه.

(وَإنَّهُمْ لَمِنْ رَيْحَان الله) أَيْ: مِنْ رِزْق الله يُقَالُ: سُبْحَانَ الله وَرَيْحَانَهُ: أَيْ: أُسَبِّحُ لَهُ وَأَسْتَرْزِقُهُ، لأَنَّ انْتِعَاشَهُ بِالرِّزْقِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالرَّيْحَانِ الْمَشْمُوم ; لأَنَّ الشَّمَّامَاتِ تُسَمَّى رَيْحَانًا، أَوْ لأَنَّهُمْ يَشُمُّونَ وَيُقَبِّلُونَ، فَكَأَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الرَّيَاحِينِ الَّتِي أَنْبَتَهَا الله). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٧٠) باختصار.

قال السيوطي رحمه الله تعالى: (إن الْوَلَد مَبْخَلَة مَجْبَنَة: من الْبُخْل والجبن، أي سَبَب لبخل الأب وجبنه وَيحمل أَبَوَيْه على الْبُخْل وَكَذَلِك على الْجُبْن، فإنَّه يتقاعد من الْغَزَوَات والسرايا بِسَبَب حب الأَوْلاد، ويمسك مَاله لَهُم، وَعَن أبي عبد الرَّحْمَن السّلمِيّ الصُّوفي أَنه تصدق بِمَالِه كُله حِين وُلد لَهُ وَلد، فَقيل لَهُ في ذَلِك فَقَالَ: إن كَانَ صَالحا فَالله يتَوَلَّى الصَّالِحين، وإن كَانَ فَاجِرًا فَلَا أترك لَهُ مَا يَدعُوهُ إلى الْفُجُور). الديباجة شرح سنن ابن ماجه للسيوطي (ص: ٢٦١).

قال البغوي:)قال تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (التغابن: ١٤- ١٦).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَؤُلاءِ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا وَأَرَادُوا أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَنَعَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ، وَقَالُوا صَبَرْنَا عَلَى إِسْلامِكُمْ فَلا نَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكُمْ فَأَطَاعُوهُمْ، وَتَرَكُوا الْهِجْرَةَ، فَقَالَ تَعَالَى فَاحْذَرُوهُمْ أن تطيعوهم وتدعوا الْهِجْرَةَ. "وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ"، هَذَا فِيمَنْ أَقَامَ عَلَى الأَهْل وَالْوَلَد وَلَمْ يُهَاجِرْ، فَإِذَا هَاجَر ورأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في الدين هَمَّ أَنْ يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة، وإن لحقوا في دار الْهِجْرَة لَمْ يُنْفِقْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصِبْهُمْ بِخَيْر، فَأَمَرَهُمُ الله عزَّ وجلَّ بِالْعَفْو عَنْهُمْ وَالصَّفْح.

وَقَالَ عطاءُ بْنُ يسار: نَزَلَتْ في عَوْف بْن مَالك الأَشْجَعيِّ: كَانَ ذَا أَهْلٍ وَوَلَدٍ وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْغَزْوَ بَكَوْا إِلَيْهِ وَرَقَّقُوهُ، وَقَالُوا إِلَى مَنْ تَدَعُنَا فَيَرِقُّ لَهُمْ وَيُقِيمُ، فَأَنْزَلَ الله إنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ بِحَمْلِهِمْ إِيَّاكُمْ عَلَى تَرْكِ الطَّاعَة، فَاحْذَرُوهُمْ أَنْ تَقْبَلُوا مِنْهُمْ، وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَلا تُعَاقِبُوهُمْ عَلَى خِلافِهِمْ إِيَّاكُمْ فَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ. (تفسير البغوي (٥/ ١٠٤).

وقال القرطبي أيضا في قولِهِ تعالى: "إنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَالله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ".التغابن/١٥.

قوله تعالى: (إنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ)؛ أَيْ بَلاءٌ وَاخْتِبَارٌ يَحْمِلُكُمْ عَلَى كَسْبِ الْمُحَرَّم وَمَنْعِ حقِّ الله تَعَالَى فَلا تُطِيعُوهُمْ في مَعْصِيَةِ الله.

وَفي الْحَدِيث (يؤتى برجل يوم القيامة فَيُقَالُ أَكَلَ عِيَالُهُ حَسَنَاتِه).

وَعَنْ بَعْضِ السَّلَف: العيال سوس الطاعات.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُود: لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الْفِتْنَة، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَرْجِعُ إِلَى مَالٍ وَأَهْلٍ وَوَلَدٍ إِلاّ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتَن. وَقَالَ الْحَسَنُ في قَوْله تَعَالَى: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ: أَدْخَل مِنْ لِلتَّبْعِيض، لأَنَّ كُلَّهُمْ لَيْسُوا بِأَعْدَاء.

وَلَمْ يذكر مِنْ في قوله تعالى: "واعلموا أنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ"، لأَنَّهُمَا لا يَخْلُوَان مِن الْفِتْنَة وَاشْتِغَال الْقَلْب بِهِمَا.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَبْد الله بْن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم يَخْطُبُ، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ- وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَان

وَيَعْثرَانِ، فَنَزَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحملَهُمَا بَيْنَ يَدَيْه، ثُمَّ قَالَ: (صَدَقَ الله عَزَّ وَجَلَّ إنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ. نَظَرْتُ إلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا) ثُمَّ أَخذ في خطبته). تفسير القرطبي (١٤٢/١٨).

والفتنة في هذا الحديث: هي الحب الشديد الذي لا يضر في دنيا ولا في دين، ولم تؤخر عن فعل واجب أو أداء فريضة، وهذا الذي حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم تجاه الحسن والحسين رضي الله عنهما.

أما إذا أدى هذا الحب إلى ترك الواجب، والوقوع في المحظور، أو الإضرار بحق الولد في التربية والتعليم، وتنشئته على الشهامة والمروءة فتلك الفتنة الضارة التي يمنع الإسلام من التعرض لأسبابها.

قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاحْذَرُوهُمْ) مَعْنَاهُ عَلَى أَنْفُسكُمْ. وَالْحَذَرُ عَلَى النَّفْس يَكُونُ بوَجْهَيْن: إمَّا لضَرَرٍ في الْبَدَن، وَإمَّا لضَرَرٍ في الدِّين. وَضَرَرُ الْبَدَن يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا، وَضَرَرُ الدِّين يَتَعَلَّقُ بالآخرَة. فَحَذَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ منْ ذَلكَ وَأَنْذَرَهُ بِه(. تفسير القرطبي (١٤٢/١٨).

الإعجاب المبالغ فيه:

من الفطرة السليمة والاعتدال والوسطية تقبيح القبيح وتحسين الحسن، لكن المبالغة في الأمور ميلٌ عن الاعتدال، وقد قال الله سبحانه وتعالى: "فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ".

لأن الميل الزائد جور وظلم. وقد يحدث أن يرى الوالدان في ابنهما أو ابنتهما نبوغًا أو ذكاءً وسرعة بديهة، أو غير ذلك من الخصال المحببة إلى النفس تكون فتنة لهما، فيظل المربي يكثر من المدح، ويبالغ في الثناء، ويتلذذ بالفخر وذكر المحاسن، وهو عند ذلك قد عرَّض نفسه ورعيته لأخطار عديدة، ومجازفات خطيرة، أهمها:

١- عَرَّض الأسرة جميعها لخطر الحسد، فكل ذي نعمة محسود.

فعَنْ مُعَاذ بْن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: " اسْتَعينُوا عَلَى إنْجَاح الْحَوَائج بالْكتْمَان، فَإنَّ كُلَّ ذي نعْمَة مَحْسُودٌ ".

صَحيح الْجَامع: ٩٤٣، الصَّحيحَة: ١٤٥٣.

قال الجرجاني في أماليه (١٠/٢): "عَن الأَصْمَعيِّ، قَالَ: سَمعْتُ أَعْرَابيًّا يَقُولُ: رُبَّ مَغْبُوط بنعْمَة هيَ دَاؤُهُ، وَرُبَّ مَحْسُود عَلَى رَخَاء هُوَ بَلاَؤُهُ، وَرُبَّ مَرْحُوم منْ سَقَم هُوَ شَقَاؤُهُ". يعني أن الحسد يقلب النعمة إلى نقمة، والعافية إلى داهية، والمنحة إلى محنة، والسرور إلى شرور.

وعواقب الحسد وخيمة، وآثاره أليمة، تهد قُوى الشديد ذي البأس والشكيمة.

عن جابر رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر».(حديث صحيح) صحيح الجامع الصغير ٤١٤٤. الصحيحة ١٢٤٩.

٢- اغترار الطفل بنفسه، وانتفاخه أكبر من حجمه:

أيضًا من الأخطار الناجمة عن الافتتان بالطفل والمبالغة في الإعجاب به أنه يترتب على ذلك ما يضر الطفل؛ من غرور وتكبر على الآخرين، ظنًا منه أنه فوق كل مَن حوله، وأنه متميز عمن يخالطونه. فيشب على هذه الخصلة الذميمة، فتؤدي به إلى الضلال وتورده المهالك وتكون سببًا في خلوده في النار والعياذ بالله.

٣- إصابة الصبي بالفشل والإحباط عند اصطدامه بمن لا يعترف له بما يقال عنه:

فيحاول الولد جاهدًا تعويض هذا الفارق بين الفشل والنجاح، إما بالكذب، وإما بالحيلة، وإما بالسرقة، والخيانة والوقوع في الرذيلة.

مَن الجاني؟:

إن الذي جنى على هذا الصبي هم أهله وأحرص الناس عليه، فتحول الحُب وأدًا وقتلاً، والحرص تحطيمًا وركْلاً.

وقد حذَّر الشرع الشريف من مثل هذا السلوك المهين، وهو الجناية على الأولاد.

قال صلى الله عليه وسلم وَلاَ يَجْني جَانٍ عَلَى وَلَده، وَلاَ مَوْلُودٌ عَلَى وَالده، أَلاَ وَإنَّ الشَّيْطَانَ قد أيسَ أَنْ يُعْبَدَ في بَلَدكُمْ هَذَا أَبَدًا، وَلَكنْ ستكونُ لهُ طاعةٌ فيمَا تحتقرونَ منْ أَعْمَالكُمْ فَسَيَرْضَى به».

مشكاة المصابيح عن عمرو بن الأحوص (٨١٩/٢).

والى لقاء إن شاء الله.

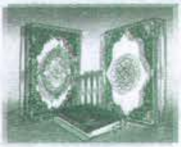

تحذير الداعية
من القصص الواهية

الحلقة (٢٠١)

قصة الجند الغربي

إعداد/ **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ خاصة في هذه الأيام، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

٢- لقد قام أحد القبوريين في ندوة من الندوات يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ بذكر هذه القصة، وأسهب، ونقلتها إحدى القنوات المشهورة، ولا يهمنا ذكر هذا القبوري، ولا ذكر اسم هذه القناة بقدر ما يهمنا بيان حقيقة هذه القصة، حيث بيننا وبين القوم القوائم لا الشتائم.

٢- ولما كان من مناهج علماء الجرح والتعديل في تراجم الرجال ذكر الأحاديث المنكرة للجرح، وهذا القبوري يروِّج للأحاديث المنكرة والقصص الواهية التي تؤيد قبوريته، وعلى سبيل المثال لا الحصر: قصة أحمد الرفاعي ووقوفه تجاه قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم: «فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي». ويقول: «فمد النبي صلى الله عليه وسلم يده من قبره فقبَّلها الرفاعي والألوف من الناس ينظرون، ويدعي أنها متواترة، ولقد كشفنا عارها وبينا عوارها في هذه السلسلة التي تنشرها مجلة التوحيد- حفظها الله تعالى- في عدد ذي الحجة ١٤٢٣هـ.

٣- ومن أسباب تحقيقنا لهذه القصة «قصة الجند الغربي» أن هذا القبوري أخرج ورقات يعدِّد فيها كتب السنة الأصلية التي أخرجت هذه القصة ليوهم من يستمع إليه أنها ثابتة، خاصة أن كثيرًا من الناس لا يفرقون بين التخريج والتحقيق، فيخيل لهم من إفكه أنها صحيحة، ولكن هيهات هيهات لما يقولون، وهذا هو التخريج والتحقيق.

ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عن عمرو بن الحمق يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكون فتنة يكون أسلم الناس فيها- أو قال: خير الناس فيها- الجند الغربي، قال ابن الحمق: فلذلك قدمت مصر». اهـ.

ثالثًا: التخريج والتحقيق:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية:

١- الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٧/٩) (ح٨٧٣٥) ط. مكتبة المعارف بالرياض، تحقيق الدكتور محمود الطحان، نقل أن الطبراني قال: حدثنا مطلب، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثني أبو سريج عبد الرحمن بن شريح المعافري، أنه سمع عمرو بن عبد الله المعافري يقول: حدثني أبي أنه سمع عمرو بن الحمق يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكون فتنة....» القصة.

٢- فائدة: لقد بيَّن الدكتور محمود الطحان منهجه في تحقيق «المعجم الأوسط» (١٣/١) على النسخ المخطوطة للمعجم الأوسط، فقال: «وقد كان عملي في تحقيق هذا الكتاب على النحو التالي: أولاً: تحقيق النص والتأكد من صحته، وذلك بنسخ الكتاب، ثم مقابلته والتأكد من سلامة بعض الكلمات وصحتها في السند أو المتن، لاسيما الكلمات المهملة من الإعجام، وذلك بالرجوع إلى كتب السنة الأصلية التي شاركت الطبراني في إخراج الحديث بالنسبة للكلمات التي ترد في المتون، وهذا الأمر كان أدق الأمور وأصحها وأكثر أخذًا للوقت والجهد». اهـ.

قُلْتُ: بهذا يتبين أن الدكتور احتاط في عمله هذا بأمرين:

الأول: الرجوع إلى كتب التراجم بالنسبة للأسماء التي ترد في الأسانيد.

الثاني: الرجوع إلى كتب السنة الأصول التي شاركت

الطبراني في إخراج الحديث.

ومع هذا الاحتياط وقع الدكتور- عفا الله عنا وعنه- في «التصحيف»، قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١٩٣/٢) النوع (٣٥): «معرفة المصحف: هو فن جليل مهم وإنما يحققه الحُذَّاق من الحُفَّاظ». اهـ.

قلتُ: والتصحيف في هذا الحديث «تصحيف إسناد».

فحديث أبي شريح عبد الرحمن بن شريح الغافري عن عجيرة بن عبد الله المعافري صُحف إلى أبي شريح عن عمرو بن عبد الله المعافري».

وقد يحسبه من لا دراية له بالصناعة الحديثية أنه هيِّن، ولكنه عند أهل هذا الفن عظيم، ففي هذا الحديث تبنى عليه معرفة علة هذا الحديث؛ حيث إن هذا التصحيف يضل الباحث عن معرفة العلة، لذلك قال الأئمة: «معرفة المصحف هو فن جليل مهم». اهـ.

٣- كيفية معرفة هذا التصحيف:

لقد احتاط للتأكيد من سلامة الكلمات وصحتها في السند والمتن بالرجوع إلى كتب التراجم بالنسبة للأسماء التي ترد في الأسانيد». اهـ.

قلتُ: بالرجوع إلى تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٨٢٨/٢٢٦/١١) للحافظ المزي نجده يقول: عبد الرحمن بن شريح أبو شريح المعافري روى عن عميرة بن عبد الله المغافري وآخرين يبلغ عددهم أكثر من عشرين راويًا، روى عنهم أبو شريح ليس فيهم راوٍ اسمه عمرو بن عبد الله المعافري.

لقد احتاط الدكتور للتأكد من سلامة الكلمات وصحتها في السند والمتن بالرجوع إلى كتب السنة الأصول التي شاركت الطبراني في إخراج الحديث. اهـ.

قلتُ: لو رجع حقًا إلى كتب السنة التي أخرجت هذا الحديث بما وقع في هذا التصحيف، وهذا هو البيان بكتب السنة الأصلية التي شاركت الطبراني في إخراج الحديث:

٥- فأخرج هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة: الإمام البزار في «المسند» (٢٨٧/٦) (ح٢٣١١) ط. العلوم والحكم بالمدينة المنورة، قال: حدثنا محمد بن سكين، قال: أخبرنا عبد الله بن صالح، قال: أخبرنا أبو شريح عبد الرحمن بن شريح، أنه سمع عميرة بن عبد الله المعافري يقول: حدثني أبي، أنه سمع ابن الحمق يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تكون فتنة...» القصة.

قلتُ: بالرجوع إلى كتب السنة الأصول ومنها مسند البزار نجد أن البزار شارك الطبراني في إخراج الحديث من طريق أبي شريح عن عميرة بن عبد الله المعافري.

٦- قال الإمام البزار في «مسنده» (٢٨٧/٦): «هذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه بهذا اللفظ إلا عمرو بن الحمق وحده، ولا نعلم له طريق إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن ابن شريح إلا عبد الله بن صالح». اهـ.

فائدة: قد يذكر الراوي عبد الرحمن بن شريح بكنيته (أبو شريح) أو باسم أبيه (ابن شريح).

قلتُ: قول الإمام البزار رحمه الله: «ولا نعلم رواه عن ابن شريح إلا عبد الله بن صالح». اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٧٠٩/٢) ط الجامعة الإسلامية:

البزار حيث يحكم بالتفرد إنما ينفي علمه يقول: «لا نعلمه يروي عن فلان، إلا من حديث فلان».

وأما غيره فيعبر بقوله: «لم يروه عن فلان إلا فلان». اهـ.

قلتُ: وهذا الحكم بالتفرد مطلق، وينطبق ذلك على قول الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» على هذا الحديث، حيث قال: «لا يروى هذا الحديث عن عمرو بن الحمق إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو شريح». اهـ.

قلتُ: ودعوى التفرد هذه عند الطبراني تنطبق على دعوى التفرد عند البزار في الجملة الأولى والثانية، أما الجملة الثانية ففيها نظر، حيث قال البزار: «هذا الحديث لا نعلم أحدا رواه بهذا اللفظ إلا عمرو بن الحمق وحده، ولا نعلم له طريق إلا هذا الطريق».

أما قول البزار: «ولا نعلم رواه عن ابن شريح إلا عبد الله بن صالح». اهـ.

فهذا قول فيه نظر؛ حيث لا تسلم دعوى التفرد لعبد الله بن صالح في روايته عن عبد الرحمن بن شريح أبي شريح المعافري، حيث رواه أيضا عنه عبد الله بن وهب، وبرهان ذلك:

٧-أخرج الحاكم في «المستدرك» (٤٤٨/٤) قال:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثني أبو شريح، عن عمير بن عبد الله المعافري، عن أبيه، عن عمرو بن الحمق رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ستكون فتنة...» القصة.

٨- نستنتج من هذه الرواية:

أ- أن عبد الله بن صالح لم ينفرد بالرواية عن أبي شُريح كما ظن البزار، ولكن تابعه عبد الله بن وهب في روايته هذا الحديث عن أبي شريح عند الحاكم.

ب- وقع تصحيف عند الحاكم في «المستدرك» (٤٤٨/٤) فالراوي «عميرة بن عبد الله المعافري» صُحف إلى «عمير بن عبد الله» كما بينا آنفًا.

وكما هو مبين في «تهذيب الكمال» (٣٨٢٨/٢٢٦/١١)، فالراوي أبو شريح روى عن عميرة بن عبد الله المعافري، وآخرين، ولم يوجد في الرواة الذين روى عنهم أبو شريح راوٍ اسمه «عمير بن عبد الله المعافري».

٩- بل وهناك راوٍ ثالث عن أبي شريح، وفيه ردٌّ أيضًا على دعوى التفرُّد التي ذكرها الحافظ البزار رحمه الله حول حديث القصة في قوله: «لا نعلم رواه عن ابن شريح إلا عبد الله بن صالح». اهـ.

حيث أخرجه ابن عبد الحكم في «فتح مصر وأخبارها» (ح٢١٧) بسندين الأول عالي خماسي، والثاني نازل سداسي، قال ابن عبد الحكم: حدثنا عبد الله بن صالح، عن أبي شريح، وعبد الملك بن نفير عن عمران بن عطية الجذامي عن أبي شريح قال: سمعت عميرة بن عبد الله المعافري يقول: حدثني أبي قال: سمعت ابن الحمق يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكون فتنة...» الحديث.

نستنتج: أن هذا الخبر الذي جاءت به القصة مشهور عن أبي شريح رواه عنه ثلاثة:

أ- عبد الله بن صالح.

ب- عبد الله بن وهب.

جـ- عمران بن عطية.

وبهذا تنحصر منطقة التفرد في الحديث في قول الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٧/٩): «لا يروى هذا الحديث عن عمرو بن الحمق إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو شريح». اهـ.

١٠- الغرابة:

من قول الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» يتبين أن هذا الحديث غريب الإسناد تفرد بروايته أبو شريح عن عجيرة بن عبد الله المعافري فهو «غريب» عن عميرة، تفرَّد به عنه أبو شريح، وتفرد بروايته عميرة بن عبد الله المعافري عن أبيه، فهو «غريب» عن عبد الله المعافري تفرد به عنه ابنه عميرة، وتفرد بروايته عبد الله المعافري عن عمرو بن الحمق.

فهو «غريب» عن عمرو بن الحمق تفرد به عنه عبد الله بن عامر المعافري، وهذا البيان للغرابة مستنبَط من قول الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط»: «لا يروى هذا الحديث عن عمرو بن الحمق إلا بهذا الإسناد تفرد به أبو شريح»، وهذا التفرد قد أثبتناه آنفًا من تخريج هذا الحديث عند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٧/٩) (ح٣٧٣٥)، والإمام البزار في «المسند» (٢٨٧/٦) (ح٢٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٨/٤)، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر وأخبارها» (٢١٧)، وكذلك ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩٢/٤٥)، والإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٤٩٩/٣١٣/٦)، والحافظ عبد الباقي بن قانع في «معجم الصحابة» (٢٠٢/٢) ط مكتبة الغرباء- المدينة المنورة كلهم من طريق أبي شريح عبد الله بن شريح عن عميرة بن عبد الله المعافري، عن أبيه عن عمرو بن الحمق مرفوعًا.

قلتُ: وهذا التخريج برهان على التفرد الذي قاله الإمام الحافظ الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن عمرو بن الحمق إلا بهذا الإسناد تفرد به أبو شريح».

رابعًا: بيان العلة:

١- لذلك أورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٤٩٤/٢٩٧/٣) بهذا الإسناد في ترجمة عميرة بن عبد الله المعافري، وجعله من مناكيره فقال: «عميرة بن عبد الله المعافري بصري، لا يُدْرى مَن هو، قال كاتب الليث: حدثنا أبو شريح أنه سمع عميرة بن عبد الله يقول: حدثنا أبي أنه سمع عمرو بن الحمق يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تكون فيكم فتنة أسلم الناس- أو خير الناس- فيها الجند الغربي». قال عمرو بن الحمق: فلذلك قدمت عليكم مصر». اهـ.

٢- ونقل الإمام الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٤٠/٤) (٦٣٥/١٩٩٩) كلام الإمام الذهبي هذا وأقره.

٣- وأورد هذا الحديث الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٨١/٥) وقال: «رواه البزار والطبراني من طريق عميرة بن عبد الله المعافري، وقال الذهبي: لا يُدرَى من هو». اهـ.

وذكره مرة أخرى في «مجمع الزوائد» (٣٠٤/٧).

٤- وقد أورد هذا الحديث محدث الديار الشامية الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٠٦٦/١٣) (ح٦٤٧٤) وقال: «منكر».

واكتفى رحمه الله في تخريجه بعزوه للبزار في «مسنده»، وابن عساكر في «التاريخ» بهذا الطريق الذي بيناه آنفًا: (أبو شريح بن عميرة بن عبد الله المعافري- عن أبيه عن عمرو بن الحمق مرفوعًا»، ثم ضعَّفه مبينًا علته فقال: «عميرة بن عبد الله المعافري هو وأبوه مجهولان لا يعرفان». اهـ. ونقل كلام الإمام الذهبي في «الميزان» وإقرار الحافظ في «اللسان»، ثم قال: «وأبوه فقد أغفلوه ولم يترجموه». اهـ.

قلتُ: وبهذا التحقيق يصبح هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية منكرًا، وهو خبر غريب كما بيناه آنفًا بيانًا تامًا، ولهذا قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١٨٢/٢): «قال أحمد بن حنبل: لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، وعامتها في الضعفاء». اهـ.

خامسًا: طريق آخر تالف:

قال الحافظ نعيم بن حماد الخزاعي في «الفتن» (ص٣٠): قال الوليد: وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تكون فتنة تشمل الناس كلهم لا يسلم منها إلا الجند الغربي». اهـ.

قلتُ: هذا سند مسلسل بالعلل.

١- نعيم بن حماد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩١٠٢/٢٦٧/٤): «خرَّج له البخاري مقرونًا بغيره»- أي لم يرو له احتجاجًا- وقال النسائي: «قد كثر تفرده عن الأئمة فصار في حد من لا يحتج به». وقال أبو داود: «كان عند نعيم بن حماد نحو عشرين حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس لها أصل».

قلت: ومع ذلك روى الحديث معلقًا فلم يقل: حدثنا أو أخبرنا، ولكن قال: «قال الوليد».

٢- العلة الثانية: الوليد بن مسلم قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٣٦/٢): «الوليد بن مسلم كثير التدليس والتسوية»، ومع ذلك علق الحديث فقال: «قال الوليد: وقال ابن لهيعة».

٣- العلة الثالثة: عبد الله بن لهيعة، قال الحافظ في «طبقات المدلسين» المرتبة الخامسة (١٢): «اختلط في آخر عمره، وكثرت عنه المناكير في روايته ويدلس عن الضعفاء». اهـ.

٤- بلاغات يزيد بن حبيب قال الحافظ في «التقريب» (٣٦٣/٢): «من الخامسة كان يرسل».

قلت: والخامسة هي الطبقة الصغرى من التابعين، ولم يثبت لبعضهم السماع عن الصحابة، فهذا سند تالف بالسقط في الإسناد والطعن في الرواة.

سادسًا: طريق آخر تالف للجند الغربي:

قال الحافظ المؤرخ محمد بن أحمد بن تميم المغربي في «طبقات علماء إفريقية» (١١/١): حدثني يحيى بن عون، قال: حدثنا أبو زكرياء الجعفري، قال: حدثنا أبو معمر عباد بن عبد الصمد قال: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستجندون أجنادكم وخير أجنادكم الجند الغربي».

قلت: هذا الخبر باطل موضوع علته أبو معمر عبَّاد بن عبد الصمد، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٧٠/٢): «منكر الحديث جدًا، يروي عن أنس ما ليس من حديثه وما أراه سمع منه شيئًا فلا يجوز الاحتجاج به فيما وافق الثقات فكيف إذا انفرد بالأوابد، وله نسخة عن أنس أكثرها موضوعة». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨٢/١/٣): «سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث جدًا منكر الحديث لا أعرف له حديثًا صحيحًا». اهـ.

قلت: فهذه هي قصة «الجند الغربي» الواهية وهذه طرقها التي بينها عللها وكشفنا عوارها وبينا عارها فلا يغرنك ما ذكره القبوري من الكتب ليدلس على الناس فالعبرة بالتحقيق.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

من أدلة القرآن على ثبوت صفاته تعالى الفعلية، ورد دعاوى الأشاعرة في نفيها

الحلقة (٣٣)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن المناسب بعد سوق أدلة العقل لدحض شبهات الأشاعرة في: (نفيهم صفات الله الفعلية والاختيارية وتعطيلها)، أن نذكر طرفاً من قرائن النقل على ثبوتها له إجمالاً، وأن نؤكد أولاً على أن "الذي دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله محدَثٌ كائن بعد أن لم يكن، أما كون الرب لم يزل معطّلاً عن الفعل ثم فعل، فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبته، بل كلاهما يدل على نقيضه" وتلك عبارة ابن أبي العز ص٦٤ في خلاصة ما قيل في هذا الباب.. ونذكر من أدلة ثبوت أفعاله في كل حين وآن، وأنه سبحانه لم يزل ولا يزال فعّالاً لما يريد، بحيث لا يجوز خلوُّه من تلك الأفعال ولا مُعطّلاً عنها بوقت من الأوقات، كونها دالة على مدى حكمته وطلاقة قدرته وتكوين وإيجاد ما سبقت به إرادته:

أولا: قوله تعالى: (يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ .. الرعد/٣٩) كذا بالتعبير بالمضارع الذي يفيد مع الحدوث الحاضر -وإن رغمت أنوف-: التتابع والتجدد المستمر في المستقبل، قال ابن عباس: (يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا: الرزق والأجل والسعادة والشقاوة)، يعني لحديث البخاري ومسلم: (يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين، فيقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب أذكر أم أنثى؟ فيكتبان، ويُكتب عمله وأثره، وأجله ورزقه، ثم تطوى الصحف فلا يُزاد فيها ولا يُنقص).. وعن عمر وابن مسعود: (يمحو السعادة والشقاوة أيضاً ويمحو الرزق والأجل، ويثبت ما يشاء)، وقد روي عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: (اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب) وروي عن ابن مسعود نحوه، وعن عكرمة: يمحو بالتوبة ما يشاء ويثبت بدل الذنوب حسنات، قال تعالى: (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً.. الآية).

وبنحوه عن سعيد بن جبير لكن بلفظ: (ويترك ما يشاء فلا يغفره)، وفي الصحيحين: (من سره أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه).. قال الفخر: "إن قال قائل: (ألستم تزعمون أن المقادير سابقة قد جَف بها القلم وليس الأمر بأنف، فكيف يستقيم مع هذا المعنى: المحو والإثبات؟)، قلنا: (ذلك المحو والإثبات أيضاً مما جف به القلم، لأنه لا يمحو إلا ما سبق في علمه وقضائه محوه)"ا.هـ.

ويشمل المحو والإثبات ما يكون في صحف الملائكة، وهو المشار إليه بحديث: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)، فصحف الملائكة وما تكتبه فيها ليس من القدر في شيء، وليسوا هم من ينفخون في الروح ويكتبون ما قدره الله على العبد من رزق وأجل وشقي أو سعيد، وإنما يكتبون أعمالنا، وقد تكتب أنه فعل من المعاصي كذا وكذا، لكنه عند الله من

السعداء، كالرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب الله عليه، وكم من رجل كان يعمل في ظاهره بالخير والصلاح، ثم كتبت له سوء الخاتمة؛ أعاذنا الله من ذلك، "فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات، في صحف الملائكة؛ وأما علم الله فلا يختلف ولا محو فيه ولا إثبات، وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين" كذا في مجموع الفتاوى ١٤/ ٤٨٨..

قال الحافظ ابن كثير بعد أن نقل قسطاً وافراً من روايات رد القدر: "ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه أحمد من حديث: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يَرُدُّ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر)"، ثم نقل عن ابن عباس قوله: (الكتاب كتابان: فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت عنده ما يشاء، وأم الكتاب: الذي لا يغير منه شيء)، أو هو كما روي عن كعب: (علم الله ما هو خالق، وما خلقه عاملون، ثم قال لعلمه كن كتاباً فكان كتاباً).

وكذا ما يكون من نسخ الأحكام التكليفية، فهو سبحانه يشرعها لمصالح ثم ينسخها لزوال أسباب شرعيتها، وهو في حال شرعها يعلم أنها آيلة إلى أن تنسخ.. وقال الربيع بن أنس: (هذا في الأرواح؛ يقبضها الله عند النوم، فمن أراد موته محاه فأمسكه، ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه) وذلك قوله: (الله يتوفى الأنفس حين موتها.. الآية).

ومن جميل ما قاله فضيلة الشيخ الشعراوي: "إذ قد كانت تعلقات القدرة الإلهية جارية على وفق علم الله، كان ما في علمه لا يتغير فإنه إذا أوجَدَ شيئًا كان عالماً أنه سيوجده، وإذا أزال شيئًا كان عالماً أنه سيزيله وعالماً بوقت ذلك، وأبهم المحو والمثبت بقوله: (ما يشاء)، لتتوجه الأفهام إلى تعرّف ذلك والتدبر فيه، لأن تحت (ما) الموصولة صوراً لا تحصى، وأسبابُ المشيئة لا تحصى، ومن مشيئته محوَ الوعيد: أن يلهم المذنبين التوبة والإقلاع ويخلق في قلوبهم داعية الامتثال، ومن مشيئة التثبيت: أن يصرف قلوب قوم عن النظر في تدارك أمورهم، وكذلك القول في العكس من تثبيت الخير ومحوه، ومن آثار المحو: تغير إجراء الأحكام على الأشخاص، فبينما ترى المحارب مطلوباً للأخذ فإذا جاء تائباً قبل القدرة عليه، قُبل رجوعه ورُفع عنه ذلك الطلب، وكذلك إجراء الأحكام على أهل الحرب إذا آمنوا ودخلوا تحت أحكام الإسلام، وكذلك الشأن في ظهور آثار رضا الله أو غضبه على العبد، فبينما ترى أحداً مغضوباً عليه مضروباً عليه المذلة لانغماسه في المعاصي، إذا بك تراه قد أقلع وتاب فأعزه الله ونصره، ومن آثار ذلك: تقليب القلوب بأن يجعل الله البغضاء محبة.. وبهذا يُتحصل أن لفظ: (ما يشاء)، عام يشمل كل ما يشاؤه تعالى ولكنه مجمل في مشيئة الله بالمحو والإثبات، وذلك لا تصل الأدلة العقلية إلى بيانه، ولم يَرِد في الأخبار المأثورة ما يبينه إلا القليل"اهـ.

وعلى أي حال، فكل ما قيل من معاني المحو والإثبات هو من جنس أفعاله تعالى، الدالة على: قيام الصفات الفعلية والاختيارية به منذ الأزل فهي قديمة النوع حادثة الآحاد على حدِّ قول أهل السنة، وأن تعلق قدرته وإرادته بها تعلقٌ وجوديٌّ قابلٌ للتجدد والحدوث في المستقبل بتجدد الممكنات، وأن تجددها وتعددها وحدوثها بعد أن لم تكن: لا يعني كما توهم الأشاعرة حلول الحوادث به سبحانه، ولا أنها كانت ممتنعة منه ثم صارت ممكنة له، ولا أنها أحدَثت له وصفاً متجدداً لم يكن، ولا أنها تحدث في وقت دون آخر، ولا أن له فيها قدرتين كما يدَّعون.

أ-المزيد من أدلة القرآن على إثبات صفات أفعاله تعالى على الوجه الذي أراده أهل السنة لا الأشاعرة:

ثانياً: قوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ.. القصص/٦٨)، بمعنى: "أنه سبحانه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له منازع ولا معقب لحكمه، فما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن، والأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه، يعلم ما تكن الضمائر وما تنطوي عليه السرائر، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق، (سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ

وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ.. الرعد/١٠)، هو المنفرد بالإلهية فلا معبود غيره، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه، جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته، (له الحكم) الذي لا معقب له، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، (وإليه ترجعون) فيجزي كل عامل بعمله من خير وشر، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال" إ.هـ من تفسير ابن كثير.

ثالثاً: قوله تعالى: (يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ.. الرحمن/٢٩)، وفيه "إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الآنات، وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم، وأنه كل يوم هو في شأن، فـ (من شأنه أن يجيب داعياً، أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً، أو يشفي سقيماً) على حد قول عبيد بن عمير، وفي لفظ لمجاهد: (كل يوم هو يجيب داعياً، ويكشف كرباً، ويجيب مضطراً، ويغفر ذنباً)، وقال قتادة: (لا يَستغني عنه أهل السماوات والأرض، يحيي حياً، ويميت ميتاً، ويربي صغيراً، ويفك أسيراً، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم، ومنتهى شكواهم)، وعن سويد بن جبلة: (إن ربكم كل يوم هو في شأن، فيعتق رقاباً، ويعطي رغاباً، ويقحم عقاباً)، وفي الحديث عن عبد الله بن منيب الأزدي قال: تلا رسول الله هذه الآية، فقلنا: يا رسول الله، وما ذاك الشأن؟، قال: (أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين)" ينظر السابق.. وفي إشارة إلى ما فاق به بعضنا اليهودَ في تصورهم عن تعطيل صفات أفعاله تعالى، يقول مقاتل عن آية الرحمن فيما ساقه له شارح الطحاوية ص٢١٣: "نزلت في اليهود حين قالوا: (إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً!)، قال المفسرون: (من شأنه أنه يحيي ويميت، ويرزق، ويعز قوماً ويذل آخرين، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، ويفرج مكروباً، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً.. إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء)" إ.هـ

رابعاً: قوله تعالى: (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ.. البروج/١٦)، وفيها ما يدل "على أمور:

١-أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

٢-أنه لم يزل كذلك، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه ولا يجوز أن يكون عادماً لهذا الكمال في وقت من الأوقات، وقد قال: (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .. النحل/١٧)، ولمّا كان (الخلق) من أوصاف كماله ونعوت جلاله، لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن.

٣-أنه إذا أراد شيئاً فَعَله، فإن (ما) موصولة عامة، أي: يفعل كلَّ ما يريد أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله، وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر: فان أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يُعينه عليه ويجعله فاعلاً، لم يوجد الفعل وإن أراده العبد، حتى يريد تعالى من نَفسه أن يجعله فاعلاً، وفرقٌ بين إرادته أن يفعل العبد وإرادة أن يجعله فاعلاً.

٤- فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعله فَعَل، وما فعله فقد أراده، بخلاف المخلوق، فإنه قد يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريده، فما ثمَّ فعال لما يريد إلا الله وحده.

٥-إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول في الفطر، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد.

٦-أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته جاز فعله، فإذا أراد أن يَنزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وأن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، وأن يُري عباده نفسه، وأن يتجلى لهم كيف شاء ويخاطبهم ويضحك إليهم، وغير ذلك مما يريد سبحانه، لم يمتنع عليه فعله، فإنه فعال لما يريد، وانما يتوقف صحة ذلك على إخبار الصادق به، فإذا أخبر وجب التصديق، وكذلك محو ما يشاء واثبات ما يشاء، كل يوم هو في شأن.. وكل ما سوى الله مُحْدَث ممكنُ الوجود: موجودٌ بإيجاد الله له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته والغنى وصف ذاتي لازم له" إ.هـ من كلام ابن أبي العز ص٦٥.

خامساً: نظائر ما سبق من الآيات من نحو قوله: (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ .. البقرة/٢٥٣)، (قال كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ .. آل عمران/٤٠)، (إِنَّ

رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ.. هود/١٠٧)، (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.. الحج/١٤)، (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.. الحج/١٨)، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

ب- أسئلة للأشاعرة تفرض نفسها:

والسؤال: كيف يتسنى للأشاعرة بعد كل هذا أن يزعموا – تحت دعوى نفي حلول الحوادث عن الله – نفي صفات أفعاله اللازمة وأنه لا يفعل منها ما يريد؟، أو يدّعوا أن صفات أفعاله المتعدية "صارت ممكنة له بعد أن كان ممتنعاً منها" على ما نقله عنهم شارح الطحاوية ص٦١؟، أو ينفوا الأزلية عنها في الماضي على ما صرح به البيجوري – في شرح قول صاحب الجوهرة (كذا صفات ذاته قديمة) ص٩٧– قائلا: "وخرج بإضافة صفات إلى الذات: (صفات الأفعال)، فليس شيء منها بقديم عند الأشاعرة"، وقوله قبلها: و"مثل أسمائه تعالى – يعني في القدَم – الصفات القائمة بذاته، وهي صفات المعاني السبع.. فهي قديمة وليست حادثة، لأنها لو كانت حادثة للزم قيام الحوادث بذاته تعالى"، كذا بما يعني أن جميع صفات أفعاله حادثة وليس لها القدَم الذي لصفات المعاني؟.. كيف يستقيم لهم ذلك وأطفال المسلمين يعلمون أنه تعالى كما لا يزال على صفات أفعاله أبدياً كان بها أزلياً؟، وأن كل ممكن مندرج تحت قدرته أزلاً وأبداً؟، وأن هذا هو أصل الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير؟، وأنه لا يجوز أن يُنفي عنه ما وصف به نفسه وما وصفه به أعرف الخلق بربه وأنصحهم لأمته وأفصحهم على البيان صلى الله عليه وسلم؟..

كيف يغيب عنهم ما لا يغيب عن مخيلة العوام من أن قدم أسمائه تعالى وصفاته معلومة بالضرورة؟، وأن دوام أفعاله ثابتة له في الماضي كما هو حالها في المستقبل؟، وأن تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون هو الأول الذي ليس قبله شيء فهو لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء؟، وأن أفعاله تعالى من لوازم حياته، فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت إنما يكون بالفعل؟، وأنه لا يعني استلزام اسم (الخالق) لأن يكون هناك مخلوقٌ واسم (الرازق) لأن يكون هناك مرزوقٌ، وكذلك (المحي والمميت) لأن يكون هناك من يحييهم ويميتهم، وهكذا: خلوه تعالى من تلك الأفعال قبل خلقه الخلق، أو أنه كان معطلاً عنها في وقت من الأوقات، ذلك أن صفات أفعاله هو موصوف بها في الأزل قبل أن يوجد الخلق، وما من شك أن لها آثارًا في الخلق، ومن آثارها: أنه يفعل ما يريد فيعطي هذا ويمنع هذا ويحيي هذا ويميت هذا ويخفض قوماً ويرفع آخرين؟..

كيف يغيب عنهم ما تشهد به الفطر السليمة من أنه لا يلزم من نفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو نفي حدوث وصف متجدد لم يكن: نفي صفات أفعاله اللازمة كأن يُعتقد أنه تعالى لا يغضب ولا يرضى لا كأحد من الورى، ولا أنه يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، وهو ما وقع فيه الأشاعرة وأرادوا أن يلزموا به أهل السنة، بينما الأمر على ما ذكرناه لابن أبي العز من أن نفي هذا باطل، ومن "أنه سبحانه لم يزل متصفا بصفات الكمال – التي منها: صفات أفعاله اللازم منها والمتعدي – ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها، لأن صفاته صفات كمال وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده"؟.. وأنه "لا يَرد على هذا: تعلق صفاته الاختيارية بما هو حادث، كالخلق والتصوير، والإماتة والإحياء، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء والنزول، والغضب والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وأن ذلك ثابت بالنقل والمشاهدة وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته"؟..

إن الأمر بهذا يستوجب البحث عن البديل المتمثل في كيفية تناول النبي وصحابته ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة قضية الصفات برمتها، وكيف أنها جاءت في صورة سهلة سلسة بعيدة عن تعقيدات الأشاعرة وترهاتها وفلسفاتها وإلزاماتها.

فإلى لقاء آخر نستكمل الحديث في هذا، والحمد لله رب العالمين.

قضاء حوائج الناس

الحلقة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.. وبعد..

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن بعض جزاء قضاء حوائج الناس في الدنيا، ومنها مثلاً: الحصول على محبة الله، وتشريف الله لك، وتجارة مع الله، وسداد ديونك، وعلاج همومك، وتيسير أمورك، وحسن الخاتمة.

ونتابع بفضل الله الحديث عن ثواب قضاء حوائج الناس في الآخرة.

إعداد/ صلاح عبد الخالق

إن في يوم القيامة أهوالاً لا تخطر على بال ولا يتخيلها عقل، منها قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ» (الحج: ١).

- وفي السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّه النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ. رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

من جزاء قضاء حوائج الناس ونفعهم في الآخرة مثلاً:

١ تفريج كربات يوم القيامة:

أ- عن عَبْدِاللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّه فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّه عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّه فِي عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..» صحيح مسلم (٢٦٩٩).

- الْكُرْبَةُ: هِيَ الشِّدَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْكَرْبِ، وَتَنْفِيسُهَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مِنْهَا، مَأْخُوذٌ مِنْ تَنْفِيسِ الْخِنَاقِ، كَأَنَّهُ يُرْخَى لَهُ الْخِنَاقُ حَتَّى يَأْخُذَ نَفَسًا، وَالتَّفْرِيجُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الْكُرْبَةَ، فَتُفْرَجَ عَنْهُ كُرْبَتُهُ، وَيَزُولَ هَمُّهُ وَغَمُّهُ، فَجَزَاءُ التَّنْفِيسِ التَّنْفِيسُ، وَجَزَاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ.

- قَوْلُهُ: «كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» كُرَبُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُرَبِ الآخِرَةِ كَلَا شَيْءٍ، فَادَّخَرَ اللَّه جَزَاءَ تَنْفِيسِ الْكُرَبِ عِنْدَهُ، لِيُنَفِّسَ بِهِ كُرَبَ الآخِرَةِ. جامع العلوم والحكم (٢/٢٨٧).

- من نفَّس عن مؤمن كربة، ولو بالكلام الطيب، ولو بالتسلية والمواساة والتعزية؛ تنفس عنه بأن تعينه بمالك أو بعملك أو بالشفاعة له عند إنسان فتزيل عنه الكربة، وتيسر عليه أمراً كان عسيراً عليه، فأجرك يوم القيامة أن يكشف الله عز وجل عنك كربة من كربات يوم القيامة، وفي الدنيا ييسر عليك سبحانه وتعالى. (شرح رياض الصالحين، حطيبة: ٣/٩٦).

٢- تيسير الحساب:

- قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

- عَنْ أَبِي مَسْعُود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ»، قَالَ: « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ » رواه مسلم (١٥٦١).

- وَفِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ فَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ وَالْوَضْعِ عَنْهُ إِمَّا كُلَّ الدَّيْنِ وَإِمَّا بَعْضَهُ مِنْ كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ، وَفَضْلُ الْمُسَامَحَةِ فِي الاقْتِضَاءِ وَفِي الاسْتِيفَاءِ سَوَاءٌ اسْتُوْفِيَ مِنْ مُوسِرٍ أَوْ مُعْسِرٍ وَفَضْلُ الْوَضْعِ مِنَ الدين، وأنه لا يحتقر شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ فَلَعَلَّهُ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالرَّحْمَةِ. شرح النووي (١٠/٢٢٤).

٣- في ظل عرش الرحمن:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» سنن الترمذي (١٣٠٦).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» صحيح البخاري (٦٠٦).

هؤلاء من السعداء يوم القيامة؛ منهم من قضى مصالح الناس كالإمام العادل وأهل المحبة في الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهل الصدقات في ضيافة الملك يوم القيامة.

٤- النجاة من كرب الصراط:

- عَنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «ومن مشى مَعَ أخيه المُسْلِم فِي حاجَته حَتَّى يُثْبِتَها له أَثْبَتَ الله تَعَالَى قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ». صحيح الجامع (١٧٦).

- الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر عليه خطاطيف وكلاليب وأشواك مأمورة بالخطف، لا تثبت عليه الأقدام إلا من ثبتهم الرحمن فكما أنك ثبت قدمك وصبرت حتى تقضي حاجة الآخرين ثبت الله قدميك على الصراط حتى تدخل الجنة بسلام وأمان.

٥- مغفرة الذنوب: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» رواه مسلم (٢٢٤٥). والرَّكية البئر، والبَغي هي الزانيَة، والموق هو الخف.

غفر الله الرحيم لهذه الزانية لرحمتها بالكلب ونفعه، فمن باب أولى مغفرة ذنوب من ينفع الناس.

آداب قضاء حوائج الناس:

هناك آداب كثيرة ينبغي أن يحافظ عليها كل من يقضي حاجات الناس وينفعهم منها:

١- الإخلاص لوجه الله تعالى:

- قال تعالى: «لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء: ١١٤)، «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ» أَيْ: مُخْلِصًا فِي ذَلِكَ مُحْتَسِبًا ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» أَيْ: ثَوَابًا كَثِيرًا وَاسِعًا. (تفسير ابن كثير: ٢/٤١٢).

- عن عبد الله بن مسعود: «يُحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا، فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقى لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه. التذكرة (١/٢٥٤).

- عند بداية عمل أي معروف قل في نفسك: «لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٩).

٢- عدم المن والأذى:

-قال تعالى: «الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (البقرة: ٢٦٢).

- الْمَنُّ وَالأَذَى مُبْطِلاَنِ لِثَوَابِ الصَّدَقَةِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ» (البقرة: ٢٦٤).

الْمَنُّ: ذِكْرُ النِّعْمَةِ عَلَى مَعْنَى التَّعْدِيدِ لَهَا وَالتَّقْرِيعِ بِهَا؛ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ وَنَعَشْتُكَ وَشِبْهَهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَنُّ: التَّحَدُّثُ بِمَا أَعْطَى حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمُعْطَى فَيُؤْذِيَهُ. وَالْمَنُّ مِنَ الْكَبَائِرِ.

الأَذَى: السَّبُّ وَالتَّشَكِّي، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْمَنِّ، لأَنَّ الْمَنَّ جُزْءٌ مِنَ الأَذَى لَكِنَّهُ نَصَّ عَلَيْهِ لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ. تفسير

القرطبي (٣٠٨/٣).

٣- المداومة على قضاء حوائج الناس:

قال تعالى: «وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم» (محمد: ٣٨).

- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ للهِ أقوامًا يَخْتَصُّهُمْ بالنِّعَمِ لمَنَافعِ العبادِ، وَيُقرُّها فيهمْ ما بَذَلُوهَا، فإذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا منْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إلَى غَيْرِهِمْ» صحيح الجامع (٢١٦٤).

- (إن لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم) من نعمة المال أو الجاه أو العلم ولا تنحصر نعمة الله. (لمنافع العباد) لأجل نفع العباد على أيديهم. (ويقرها) يبقّيها. (فيهم ما بذلوها) مدة بذلهم إياها. (فإذا منعوها نزعها منهم) سلبها عنهم. (فحولها إلى غيرهم) ليقوموا بنفع العباد بها؛ فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٣٦/٤).

٤- تعجيل المعروف:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» صحيح مسلم (٢١٩٩).

لا تتردد ولا تتأخر في الخير ونفع الناس، فخير البر عاجله.

٥- الصبر والعفو:

- قال تعالى: «وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النور: ٢٢).

- هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع مسطح في عرض بنت أبي بكر السيدة عائشة فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يعطيه من طعام وشراب، فأنزل الله تعالى هذه الآية «ولا يأتل» أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش «أن يُؤتوا أولى القربى» أي أن يعطوا أصحاب القرابة، «والمساكين والمهاجرين في سبيل الله» كمسطح، «وليعفوا» أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، «وليصفحوا» أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوؤهم ولاسيما وقد تابوا.

- نزلت لتصحح للصِّديق هذه النظرة وتُوجِّه انتباهه إلى جانب الخير الباقي عند الله لا عند الناس. (تفسير الشعراوي: ١٠٢٢٨/١٦).

٦- ستر المعروف وتصغيره:

- للمعروف شروط لا يتم إلا بها ولا يكمل إلا معها؛ فمنها ستره عن إذاعته وإخفاؤه عن إشاعته، قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشر لما جُبلت عليه النفوس من إظهار ما أخفي، وإعلان ما كتم، ومن شروطه تصغيره عن أن تراه مستكبرًا، وتقليله عن أن يكون عنده مستكثرا لئلا يصير مذلاً بطرا أو مُستطيلاً أشرًا. قال العباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره وستره، ومنها مجانبة الامتنان به وترك الإعجاب بفعله لما فيه من إسقاط الشكر وإحباط الأجر، ومنها أن لا يحتقر منه شيئًا وإن كان قليلاً نزرًا إذا كان الكثير معوزًا وكنت عنه عاجزًا». فيض القدير (٢٧٣/٤).

آداب لمن صُنع له معروف:

الشكر والدعاء: ينبغي لك أن تقدم الشكر لمن قدم إليك معروفًا وتدعو له:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ» سنن الترمذي (١٩٥٤) وصحيح الجامع (٦٥٤١).

ب- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» سنن الترمذي (٢٠٣) وصححه الألباني.

(فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ) أَيْ: بَالَغَ فِي أَدَاءِ شُكْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ وَأَنَّهُ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْ جَزَائِهِ وَثَنَائِهِ فَفَوَّضَ جَزَاءَهُ إِلَى اللهِ لِيَجْزِيَهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى. مرقاة المفاتيح (٢٠١٢/٥).

ج- عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» سنن النسائي (٢٥٦٧).

- «فكافئوه»: أي: فأحسنُوا إليه مثلَ ما أحسنَ إليكم. قوله: «فإن لم تجدوا ما تكافئوه»: يعني: فإن لم تجدوا من المال ما تكافئوه فكافئوه بالدعاء. قوله: «حتى تَروا أن قد كافأتُموه»: يعني: كرِّروا الدعاءَ له حتى تعلموا أن قد أدَّيتم حقه. المفاتيح في شرح المصابيح (٥٥٣/٢).

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

حرمة الدماء

قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟» (النساء: ٩٢).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرحمة بالصغير

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ ومعه صبي، فجعل يضمه إليه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أترحمه؟» قال: نعم. قال: «فالله أرحم بك، منك به، وهو أرحم الراحمين». (الأدب المفرد للبخاري).

من دلائل النبوة

إخباره بموعد الريح

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فلما أتينا تبوك قال: «أما إنها ستهب الليلة ريحٌ شديدة، فلا يقومن أحدٌ، ومن كان معه بعير فليعقلها» فعقلناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء. (صحيح البخاري).

من فضائل الصحابة

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: «من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة». (فضائل الصحابة للدراقطني).

حِكَم ومواعظ

لما احتضر معاذ رضي الله عنه قال: «اللهمَ إنك تعلم أنّي لم أكن أحبّ البقاء في الدنيا لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحبّ البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحرّ الشديد، ولمزاحمة العلماء بالرُّكَب في حلَق الذّكر» (عيون الأخبار).

من أقوال السلف

عن الشعبي قال: كان يقال: من أراد بَحبوحة الجنة فعليه بجماعة المسلمين.

وعنه أيضاً قال: سل عما كان ولا تسأل عما لم يكن ولا يكون. (الشريعة للآجري).

إعداد/ علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

رجب شهر عظيم، يضاعف الله فيه الحسنات؛ فمن صام يوماً من رجب.. كل أحاديث فضل شهر رجب غير صحيحة، والسنّةُ الصحيحة ألا نخصّص عبادةً معينة لشهر رجب، ومن أراد الصيام أو العبادة فليفعل، ولكن لا تكون بسبب شهر رجب. (السلسلة الضعيفة للألباني).

فائدة لغوية

الفرق بين الظلم والهضم

الهضم هو نقصان «بعض» الحق.

والظلم يكون في الحق كله.

قال تعالى: (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (طه: ١١٢).

خُلق حسن فالزمه

عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال: «القصد والتّؤدة وحسن السّمت جزءٌ من خمسة وعشرين جزءًا من النّبوّة». (موطأ مالك).

أفضل العلماء

عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن العلماء ثلاثة: فعالم يتعلمه للسلاطين، وعالم يتعلمه لينفُذ به عند التجار، وعالمٌ يتعلمه لنفسه (أي: ليزيل الجهل عن نفسه، وهذا الصحيح)، لا يريدُ به إلا أنّه يخاف أن يعمل بغير علم، فيكون ما يفسد أكثر مما يصلح. (أورده أبو نعيم في الحلية).

من حكَم الشعراء

قال أبو العتاهية:

لا تبك للدّنيا ولا أهلها
وابك ليوم تسكن الحافره
وابك إذا صيحَ بأهل الثرى
فاجتمعوا في ساحة السّاهره

(عيون الأخبار)

خلق سيئ فاحذره..

قال الأبشيهيَ: «أيُّ سوءٍ أقبح من غدْر يسوق إلى النّفاق، وأيّ عار أفضح من نقض العهد إذا عُدّت مساوئ الأخلاق». (نضرة النعيم).

المسلمون

في إسبانيا بعد سقوط الأندلس

الحمد لله حمد الشاكرين، وبعدُ:

فحديثنا اليوم ذو شجون حول تاريخ الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس، والتي صارت اليوم تسمى ببلاد الأسبان، إنها بلادٌ عُبِدَ فيها الرحمن قرونًا طوالاً، حتى سقطت في أيدي من عبدوا الإنسان من دون الملك الديان. فهل ذرفت الدمع يومًا على غرناطة واشبيلية؟! أم تراك نسيت مالقة وسرقسطة، وكأنك لم تسمع عن أم المدائن قرطبة قبة الإسلام ومعدن العلماء؟! وهل جاءك خبرٌ عن طليطلة مدينة الأملاك؟! وهل سمعت بالمرية، ومُرسية، وبلنسية، وماردة، وقرطاجنة؟!

إنها بلاد عُبِدَ الله فيها، وانتشر الإسلام فيها، وانقلب الحال عندما ضعف أهل الإسلام، وأعاد أهل الكفران بلاد الأندلس إلى العهود المظلمة، فأنشاؤوا محاكم التفتيش التي أذاقت العباد الويل والثبور وعظائم الأمور، بعد سقوط غرناطة عام ٨٩٧هـ. واستمرت تلك المحاكم نحو ثلاثة قرون عجاف، أبيدت القرى، وأُجبر الناس على التنصير قهرًا، وعُذِّب من لم يرض حتى الموت، وحُولت المساجد إلى كنائس ومتاحف، وخزائن العلم إلى حظائر للحيوانات!!

واليوم نُعرِّج على أحوال المسلمين في تلك البلاد، وما زلنا في أوروبا في بلاد الأندلس المسماة بـ «إسبانيا» في عجالة سريعة، والله المستعان.

إعداد/ **جمال سعد حاتم**

رئيس التحرير

المسلمون في إسبانيا بعد سقوط الأندلس

لقد مضى على سقوط الأندلس قرابة ٥٣٥ عامًا، بعد أن فُتحت عام ٩٣هـ، وكان حكم الإسلام لتلك البلاد قرابة ثمانية قرون، وتحديدًا ٨٠٤ أعوام، ولا شك أن سقوطها كان عقابًا من الله تعالى لهم بعدما انغمسوا في حياة الترف، فقد كان إغراقهم في الترف، وركونهم إلى الدنيا وملذاتها وشهواتها، والخنوع والدعة والميوعة هي أولى العوامل التي أدت إلى تلك النهاية المؤلمة، وقد ارتبطت كثيرًا فترات الهبوط والسقوط بكثرة الأموال والانغماس في الملذات، والميوعة الشديدة في شباب الأمة، والانحطاط الكبير في الأهداف، قال الله تعالى: «وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ» (الأنبياء: ١١-١٣)، وقال سبحانه وتعالى: «وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» (البقرة: ١٢٠).

الإسلام ينتشر في إسبانيا اليوم

ومن خلال التقارير المنشورة عن متابعة أحوال المسلمين في العالم، ومن واقع الأعداد والإحصاءات التي تم رصدها في الأعوام الستة الأخيرة تبين أن أعداد المسلمين في إسبانيا في تزايد مستمر، وأنها ارتفعت بشكل ملحوظ في تلك الفترة بنسبة تقدر بحوالي ٢٠,٦٪، حيث وصل المسلمون إلى ١,٨٨٧,٧٠٧ مسلمين

مع انتهاء عام ٢٠١٥م، وبزيادة قدرها ٣٨٩،١٩٩ مسلمًا عن عام ٢٠١٠م، والذي بلغ عدد المسلمين فيه ١،٤٩٨،٧٠٧ مسلمين، حسب بيانات السجل المحلي للسكان التابع للمعهد الوطني للإحصاء في إسبانيا.

كما أن هناك تزايدًا في نسبة المسلمين الذين يحملون الجنسية الإسبانية، وتشتمل هذه الأعداد على المسلمين من ذوي الأصول الإسبانية الخالصة، فقد ارتفع عدد المسلمين الإسبان من ٢٧،٦٪ في عام ٢٠١٠م من إجمالي عدد المسلمين في إسبانيا إلى ٤١،٣ مع نهاية عام ٢٠١٥م.

وتتزايد أعداد المسلمين الإسبان بشكل عام، وتشتمل هذه الأعداد على المسلمين ذوي الأصول الإسبانية الخالصة، والمسلمين المهاجرين الحاملين للجنسية الإسبانية والجيل الثاني من أبناء المهاجرين المسلمين الأوائل الذين وُلدوا في إسبانيا، وترجع أعداد المسلمين الإسبان المرتفعة في إسبانيا إلى موجات الهجرة المتدفقة التي بدأت في الأربعينيات من القرن الماضي من المغرب العربي وغرب إفريقيا والشرق الأوسط، والتي اتخذت من إسبانيا وجهة لها، وحصل معظم المهاجرين آنذاك على الجنسية الإسبانية، وامتد نسلهم إلى أبناء أحفادهم المتواجدين الآن في إسبانيا، كما يُرجع التقرير أسباب الزيادة أيضًا إلى اعتناق الإسبان أنفسهم الإسلام بدءًا من أواخر الستينيات؛ وارتفاع الكثافة السكانية في إسبانيا بشكل عام.

ويمثل المسلمون الأجانب الشريحة الأكبر من إجمالي أعداد المسلمين، وقد سُجل في عامي ٢٠١٤ و ٢٠١٥م انخفاضًا ملحوظًا في أعداد المسلمين الأجانب حيث انخفض العدد في ٢٠١٤ إلى ١،١٤٠،١٨١ بنسبة ٦١،٤٪ من إجمالي عدد المسلمين، وفي ٢٠١٥ إلى ١،١٠٨،٨٢٦ بنسبة ٥٨،٧٪ من تعداد المسلمين في إسبانيا.

وتأتي الجالية المغربية في مقدمة الجاليات الأجنبية المسلمة للقرب الجغرافي الذي لا يفصل بينهما سوى مضيق جبل طارق الذي يعتبر بوابة المهاجرين الأولى إلى أوروبا بشكل عام، وتشكل الجالية المغربية الآن نسبة ٤٠،٩٪، بينما تبلغ نسبة الجاليات الأخرى ١٧،٨٪ من تعداد المسلمين في إسبانيا.

الجمعيات والمساجد في إسبانيا

وتضم إسبانيا العديد من الهيئات والجمعيات والمساجد، إذ تنتشر هذه الهيئات في مختلف بقاع البلاد، كما أنها تقدم خدمات عديدة وجليلة لمسلمي تلك البلاد، فهي تنشر التعاليم الإسلامية، وتعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، كما أنها تقدم دروسًا في شتى العلوم الإسلامية للمسلمين هناك.

وتشير التقارير إلى أن أعداد الجمعيات الإسلامية المسجلة في الهيئات الدينية التابعة لوزارة العدل الإسبانية تصل إلى ١٤٢٧ جمعية إسلامية، إضافة إلى ٢٥٪ من الجمعيات في إسبانيا لم يتم تسجيلها.

وعلى الرغم من أن تعداد المساجد في إسبانيا وفقًا لآخر الإحصائيات بنهاية عام ٢٠١٥م قد بلغ ١٤٢٧ مسجدًا، وهو رقم ضخم إذا ما قُورن بعام ٢٠١٠م، والذي بلغ فيه عدد المساجد ٧٨٥ مسجدًا بزيادة قدرها ٦٤٢ مسجدًا، إلاَّ أن بعض الجمعيات مازالت تعاني من عدم وجود مساجد أو مصليات بها، وخاصة أن الجمعيات تفوق عدد المساجد، وتبلغ نسبة الجمعيات التي تفتقر إلى مسجد أو مصلى ١٣٪ من الجمعيات الموجودة هناك.

ويفتقد أبناء المسلمين هناك إلى معلمي مادة التربية الدينية الإسلامية لأبنائهم في المدارس الإسبانية، حيث ظل عدد مدرسي التربية الدينية الإسلامية عند ٤٦ مدرسًا في الفترة من ٢٠١٠م حتى ٢٠١٣م وصل إلى ٤٨ مدرسًا فقط بنهاية عام ٢٠١٥م، وتعدد نسبة أبناء المسلمين من التلاميذ الذين يتلقون دروسًا في التربية الدينية الإسلامية ١٠٪ فقط في مدارسهم، بينما ٩٠٪ منهم يفتقرون إليها، دون تحرُّك من الحكومة الإسبانية.

الإسلام لم يغادر إسبانيا رغم سقوط الأندلس

في عام ٩٣هـ وصل الإسلام إلى إسبانيا عندما فتح المسلمون شبه جزيرة أيبيريا، وامتد الفتح الإسلامي من خلال العرب والبربر الذين آخى الإسلام بينهم، وظلوا يفتحون قرى ومدنًا في شبه جزيرة أيبيريا في جنوب غربي قارة أوروبا، حيث تقع إسبانيا «الأندلس» منبرًا للحضارة الوسطية التي امتدت من خلالها إلى الممالك الأوروبية، ظل المسلمون يحكمون إسبانيا ثمانية قرون، ولم يفرضوا الإسلام على أهلها، وتركوا لهم حرية العقيدة إلى أن سقطت دولة المسلمين، ومارست الكنيسة الكاثوليكية الحاكمة أبشع طرق التعذيب والاضطهاد عن طريق «محاكم التفتيش»، والتي خيرت المسلمين بين ترك عقيدتهم ودخول الكاثوليكية، وبين الإعدام أو الهجرة إلى إفريقيا سيرًا على الأقدام، ومن دون أموالهم ودوابهم، فقُتل أكثر من نصف مليون مسلم في هذه المحاكم، وعُذب الملايين.

وبرغم انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس إلاَّ أن الوجود الغربي الإسلامي ظل مستمرًا بها.

فاللهم انصر الإسلام والمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

مقدمة في علم القراءات

أركان القراءة الصحيحة

الحلقة الثالثة

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: لا يزال الحديث متصلاً عن علم القراءات وفي هذه الحلقة نتناول أركان القراءة الصحيحة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أركان التلاوة الصحيحة:

نعلم أن الحديث منه الصحيح والحسن والضعيف، وهذا التقسيم منضبط بقواعد وأصول بيَّنها علماء الحديث في علم المصطلح وبهذا حفظوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهل القراءات كذلك منها الصحيح وغير الصحيح؟ والجواب: نعم. وذلك أنه لما تنوعت القراءات وانتشر القراء في الأمصار وتفاوتوا في الضبط والإتقان قام جهابذة العلماء وبينوا الحق وجمعوا الحروف والقراءات وميزوا بين المشهور والشاذ بأصول أصَّلوها وأركان فصَّلوها فبينوا أركانًا ثلاثة إن اجتمعت صحت القراءة، وإن اختل منها ركنٌ حُكِمَ على القراءة بالشذوذ أو الضعف والبطلان.

وهذه الأركان الثلاثة هي:

١. موافقة اللغة العربية ولو بوجه.
٢. موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.
٣. صحة السند

قال الإمام ابن الجزري- رحمه الله- في طيبة النشر:

فكل ما وافق وجه نحو
وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسنادًا هو القرآن
فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت
شذوذه لو أنه في السبعة

الركن الأول: موافقة وجه من وجوه النحو:

سواء أكان فصيحًا أم أفصح، مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه عند علماء اللغة العربية. فكم من قـراءة انتقدها بعض أهل النحو ولم يعتد بإنكارهم مثل إسكان الهمزة في (بارئكم) وضم التاء في (للملائكة اسجدوا)، وخفض الأرحام في قوله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحـام)، فـإذا صحت القراءة نقلاً فلا يضر مخالفة الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، وإن خالفت العربية من كل وجه لم تُقبل مثل قراءة (وإن أدري أقريب) بفتح الياء في «أدري».

الركن الثاني: موافقة أحد المصاحف العثمانية:

فمثلا قوله تعالى (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْـرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ) (التوبة: ١٠٠) قرأها ابن كثير بزيادة «من» وذلك ثابت في المصحف المكي، فأمَّا إذا لم تكن القراءة مذكورة في شيء من المصاحف العثمانية فإنه يحكم بشذوذها لمخالفة الرسم المجمع عليه مثل قراءة: (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وكان كافرًا).

الركن الثالث: صحة السند:

بأن يروي تلك القراءةَ العدلُ الضابط عن مثله إلى منتهاه وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له ، وكثير من العلماء يشترط في هذا الركن التواتر، فإن نقل القراءة غير ثقة لم تصح، كقراءة (ننحيك ببدنك) بالحاء المهملة بدل الجيم.

والـذي جمع هـذه الأركـان الثلاثة قـراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف، فهذه القراءات العشر نقطع بأنها قرآن منزَّل على النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد بتلاوتها ويقرأ بها في الصلاة، وأجمع العلماء على أنه لم يتواتر

شيء مما زاد على العشرة، وأن الأربعة بعدها شاذة اتفاقًا وهي قراءة ابن محيصن، واليزيدي، والحسن، والأعمش.

وأجمع الأصوليون والفقهاء على أن الشاذ ليس بقرآن لعدم صدق الحد عليه، والجمهور على تحريم القراءة به، وقد يستفاد منه في الأحكام الشرعية عند من يحتج به أو في الأحكام الأدبية (اللغوية)، ويجوز تدوينه في الكتب.

معنى نسبة القراءة إلى إمام:

إذا نُسبت القراءة لإمام من الأئمة فقلنا مثلاً قراءة أبي عمرو فهذا لا يعني أنه أتى بها من اجتهاده أو أنه لا يتقن غيرها أو أنه لم يقرأ بها أحد قبله، وانما نسبت القراءة إليه لإتقانه لها وملازمته إياها قراءة وإقراءً حتى اشتُهر بها فهي إضافة اختيار، ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد.

علم التحريرات:

هو علم يبحث في القراءات والمرويات والطرق وينسبها لأصحابها وهدفه تخليص القراءات من التركيب ومعناه الخلط أو التلفيق، وهو إدخال قراءة على قراءة، أو رواية على رواية، أو طريق على طريق، وهو حرام؛ لأنه قراءة بما لم ينزل، ومن أمثلة ذلك على الترتيب أن يقرأ لعاصم ويدخل عليه قراءة نافع، أو يقرأ لورش ويخلط معه خلاد، أو يقرأ لحفص من طريق الشاطبية بتوسط المنفصل فيمد أحيانًا ويقصر أحيانًا، وينبغي التنبيه على من يقرأ لحفص بقصر المنفصل أن يتعلم ما يوجبه عليه هذا الطريق من أحكام حتى يتجنب التركيب.

نشأة علم القراءات وتطوره:

مرَّ علم القراءات بمراحل إلى أن صار علمًا مدونًا، ومن الممكن أن نجملها فيما يلي:

١ـ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: أقرأ جبريل النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على سبعة أحرف، وهذه الأحرف تضمنت القراءات العشر، وبلَّغ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وعلمه أصحابه امتثالا لأمر ربه (وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا) (الإسراء: ١٠٦)، فكان من أصحابه من تعلم حرفًا واحدًا قرأ به، ومنهم من جمع القراءات كأبي بن كعب، وكان بعضهم يعلم بعضا، وكانت منهم طائفة شغلوا أنفسهم بمدارسته حتى عرفوا بالقراء.

٢ـ في زمن الصحابة والتابعين: تتلمذ جماعة من الصحابة والتابعين على أئمة من قراء الصحابة أمثال أبي بن كعب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وقد كان عثمان رضي الله عنه قد بعث في خلافته بمصاحف للأمصار نُسخت وفق العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وكان رسمها محتملاً لوجوه القراءات المختلفة وأرسل قارئا إلى كل مصر يقرئ أهلها فكان عبد الله بن السائب بمكة، وأبو عبد الرحمن السلمي بالكوفة، وعامر بن عبد قيس بالبصرة، والمغيرة بن أبى شهاب المخزومي بالشام، وزيد بن ثابت بالمدينة.

٣.أقبل جماعة من كل مصر على المصحف العثماني يتلقون القراءات كما تلقاها الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم، وبرز منهم جماعة عُرفوا بالإتقان وضبط القراءة حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم وتُنسب القراءة لهم مثل معاذ بن الحارث، وسالم بن عبد الله بن عمر، ومجاهد، وطاوس، ومسروق، وعلقمة، وعطاء بن أبي رباح، وأبو رجاء العطاردي، والحسن البصري، والقراء العشرة.

٤. بدأ التأليف والتدوين في علم القراءات، وقد اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات فذهب الأكثر إلى أنه أبو عبيد القاسم بن سلام، وقيل: أبو حاتم السجستاني، وقيل: يحيى بن يعمر، وتتابع التصنيف، ولم يقتصر على عدد معين من القراءات.

٥ـ في القرن الرابع ظهر كتاب (السبعة في القراءات) لأبي بكر أحمد بن مجاهد الذي جمع فيه سبع قراءات لأئمة اختارهم ممن عرفوا بالإمامة في هذا الشأن وهم نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

٦. صُنفت كتب للاحتجاج للقراءات من النواحي النحوية، والصرفية، والصوتية.

٧ـ توالى التأليف فألف أبو عمرو الداني: التيسير، وجامع البيان، وألف مكي بن أبي طالب: التبصرة، والكشف، ونظم الشاطبي قصيدته (حرز الأماني ووجه التهاني) في القراءات السبع وعمدته فيها كتاب التيسير لأبى عمرو الداني، وألف ابن جني كتابه (المحتسب) في القراءات الشاذة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

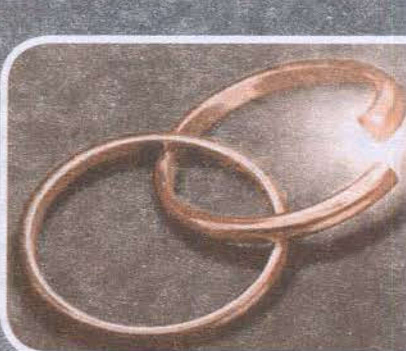

الطلاق ثلاثاً والطلاق المعلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: ففي هذا العدد نتناول بعض أحكام الطلاق، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ **الشيخ مصطفى العدوي**

حكم الطلاق المعلق وأقسامه

أولاً: جمهور العلماء يوقعونه إذا وقع الشرط الذي علق عليه الطلاق، فإذا قال الرجل لزوجته: أنت طالق إذا خرجت، أنت طالق إذا دخلت، أنت طالق إذا طلعت الشمس، أنت طالق في رمضان القادم، أنت طالق في فصل الربيع، فكل هذه عند الجمهور تقع إذا وقع الشرط الذي علق عليه الطلاق.

ثانياً: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهو رأي عدد من السلف، ورأي كثير من أهل العلم، لهم تفصيل في مسألة الطلاق المعلق، فقالوا: التعليق على قسمين: القسم الأول من أقسام التعليق: أن تعلق الطلاق بقصد التهديد أو الحث على فعل شيء، كأن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق إذا خرجت، لا ينوي تطليقاً إنما ينوي تخويفاً وتهديداً، أو: أنت طالق إذا لم تفعلي كذا، وهو لا ينوي تطليقاً إنما ينوي حثاً على الفعل.

قالوا: فهذا لا يقع طلاقه وكفارته كفارة يمين.

أما إذا قال لها: أنت طالق إذا رأينا القمر، فالقمر لابد وأن يُرى، أو أنت طالق إذا رأينا الشمس، فالشمس لابد وأن ترى، قالوا: فيقع إذا علق على شيء سيقع أو كان يقصد الطلاق.

ثالثاً: رأي أبي محمد ابن حزم رحمه الله تعالى، وهو مروي عن الحسن البصري وهو بعض روايات بعض الشافعية، قالوا: لا يقع الطلاق المعلق بأي صورة من الصور، إلا إذا قال للزوجة بعد فعل هذا الشيء: أنت طالق.

هذه أقوال العلماء في الطلاق المعلق نبحث لها عن استدلالات: أولاً: لم أقف على أي دليل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة الطلاق المعلق، ولا وقفنا على أي واقعة حدثت بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن طلاقاً معلقاً قد حدث، هذا بالنسبة للأخبار المرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أما الموقوفات على الصحابة فأسانيدها لم تبرز لنا إلا أثراً معلقاً ورد في البخاري، ولكن الحافظ لم يورد له إسناداً، وما اطلعنا له على إسناد صحيح إلى الآن.

فالجمهور قالوا: يقع هذا الطلاق إذا وقع الشرط الذي أخذه على نفسه، لأن هو الذي اشترط على نفسه هذا، فنلزمه ما ألزم به نفسه، وشيخ الإسلام ابن تيمية استدل على التفصيل بأثر صحيح

الإسناد عند عبد الرزاق في المصنف، وعند ابن أبي شيبة ملخصه: أن امرأة أتت إلى حفصة وقالت: يا أم المؤمنين! إني قلت لهذا الرجل أو لقريب لي أو لعبد: إذا تطلق امرأتك فكل أموالي في رتاج الكعبة- أي: فكل أموالي سأجعلها وقفاً- وكل عبد لي فهو حر، فماذا أصنع؟ قالت لها حفصة: كفري عن يمينك وخلي بين الرجل وبين امرأته، فالمرأة لم تقتنع بالإجابة فذهبت إلى ابن عمر فأفتاها بنفس الفتيا، فذهبت إلى صحابي ثالث فأفتاها بنفس الفتيا.

فقال: هذا يدل على أنها تكفر عن يمينها وتعد يميناً، وهو فعل الأصحاب، وهو أولى من غيره، فهذا مستند الذين فصَّلوا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية .

أما أمثلهم استدلالاً رغم قلة القائلين بهذا الرأي، فهو ابن حزم؛ إذ استدل بقول الله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا » (الأحزاب:٢٨) فهذا تعليق « فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا » (الأحزاب:٢٨) فلم يقل لهن: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فأنتن طوالق؛ لأنه إذا قال لهن: (فأنتن طوالق)، فمعناه: أنه جعل الطلاق لهن، والطلاق عند الفقهاء لمن أخذ بالساق، فقال الله لنبيه: « قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ » (الأحزاب:٢٨) فرجع الأمر ثانية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو الزوج، قال: فكذلك ينبغي أن يرد الأمر إلى الزوج، فإذا قال الرجل لزوجته: أنت طالق إذا اخترتِ كذا، فاختارت هذا الشيء، فإنه يرجع هو ويطلقها بنفسه، فإن تخلف عن التطليق لم يقع عند هؤلاء الذين قالوا بهذا القول، وهو أبو محمد ابن حزم رحمه الله تعالى، وهو قول الحسن البصري وقول بعض الشافعية. والله أعلم.

هذا بالنسبة للطلاق المعلق على وجه الإجمال، وهناك مسائل أخر كطلاق الغضبان وفيها تفصيل يأتي في محله إن شاء الله، وطلاق المكره، وطلاق الموسوس ونحو هؤلاء.

حكم الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد:

نتحول إلى صورة أخرى من صور الطلاق: وهي طلاق الثلاث في المجلس الواحد، كقول الرجل لزوجته: أنت طالق ثلاثاً، أو أنتِ طالق أنت طالق أنت طالق، أو أنتِ طالق عدد نجوم السماء، أو أنتِ طالق ألف مرة! فجمهور العلماء في هذه المسألة يقولون: تقع عليه ثلاث تطليقات، سئل ابن عباس عن رجل طلق امرأة قال لها: أنت طالق ألف مرة؟ قال: نحسب عليه ثلاثاً، ونترك تسعمائة وسبعة وتسعين، لكن ما هي الأدلة على وقوع هذا الطلاق طلاق الثلاث للمجلس الواحد التي استدل بها الجمهور؟ استدل الجمهور على إيقاع الطلاق الثلاث في المجلس الواحد بأن هذا فعل أمير المؤمنين عمر، وتبعه الصحابة على ذلك، وتبعه الجمهور على ذلك، واستدلوا بقصة عويمر العجلاني لما لاعن امرأته عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما من تائب؟ فأقسم الرجل وأقسمت المرأة، فلما رأى الرجل امرأته قد أقسمت أربعة أيمان بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، طلقها ثلاثاً قبل أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم)، فقالوا: ها هو طلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكت الرسول صلى الله عليه وسلم، فسكوت الرسول بمنزلة التقرير لطلاق الثلاث.

فهذه حجج الجمهور في هذا الباب، لكنها حجج ضعيفة؛ لأنه قد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كان طلاق الثلاث في المجلس الواحد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يعد واحدة، فلما جاء عمر قال: أرى الناس قد تتابعوا على أمر كانت لهم فيه أناة-يعني: استعجلوا فصار كل واحد يطلق امرأته ثلاثاً أو يطلقها عشراً- فلو أمضيناه عليهم! فأمضاه عليهم عمر).

فأفاد حديث ابن عباس أن طلاق الثلاث في المجلس الواحد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعد طلقة واحدة، وأن الذي أوقعه عليهم ثلاثاً هو عمر، وصيغة عمر في حديثه (أرى الناس قد تتابعوا على أمر كانت لهم فيه أناة) تفيد أن عمر فعلها من باب التعزير لهؤلاء المتسرعين في التطليق.

فإذا احتج محتج بأن عمر أوقع الطلاق الثلاث لمن طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فقد أجابوا بأن هناك من الأحاديث ما هي وقائع أعيان، ومن الأحاديث ما هي مقعدة لقواعد، وقول ابن عباس: (كان طلاق الثلاث في المجلس الواحد يعد واحدة) هو تقرير لقاعدة سار عليها الناس في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما فعل عويمر فهو فعل خاص، وسكوت الرسول صلى

الله عليه وسلم على تطليقه ثلاثاً لا حجة فيه؛ لأن الملاعنة لا تجتمع مع زوجها الذي لاعنها؛ لأنها تحرم عليه على التأبيد؛ ولأن أحدهما ملعون أو مغضوب عليه، فالاستدلال بقصة الملاعنة غير صحيح؛ لأن قصة الملاعنة قصة خاصة في واقعة خاصة، والتفريق بينهما أبدي حتى بدون الطلاق.

هذه إجابة الذين قالوا: إن طلاق الثلاث في المجلس الواحد يعد واحدة، ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقوله هنا موفق لموافقته الدليل الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما الذي يرويه عن زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم إن المعنى اللغوي أيضاً للطلاق يقتضيه، فإذا قال الرجل لامرأته: أنت طالق، كأنه كان يمسكها، ثم لو جاء بعد مدة في نفس المجلس وقال: أنت طالق فلا معنى للقول الثاني فهي مطلقة ابتداءً، لكن إذا راجعها بضمها إليه وقال لها بعد ذلك: أنت طالق، فحينئذ تحسب طلقة ثانية.

ثم أيضاً من الأدلة التي قوت هذا المذهب بشدة، قول الله سبحانه وتعالى: « ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ » (البقرة:٢٢٩) فلم يرد أن شخصاً ما طلق ثلاثا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأوقعها الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات إلا ما كان من عويمر، وقصته خاصة في الملاعنة، فعلى ذلك يتألق بشدة قول من قال: إن طلاق الثلاث في المجلس الواحد يعد واحدة.

أما الرواية التي فيها: (أن رجلاً طلق ثلاثاً ثم جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم: ماذا كنت تريد أو ماذا قصدت؟) فهي رواية ضعيفة من ناحية الإسناد فلا يستدل بها على المدعى؛ لضعف إسنادها والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا بالنسبة لطلاق الثلاث في المجلس الواحد.

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، ويصلح أحوالنا أجمعين.

إشهار

تم إشهار فرع أنصار السنة المحمدية بـ(القصير) بمحافظة البحر الأحمر.

وجماعة أنصار السنة بالمركز العام ومجلة التوحيد يتمنيان للفرع الوليد التوفيق والنجاح.

إنا لله وإنا إليه راجعون

ودعنا في الأيام القليلة الماضية والدة أخينا الشيخ محمد الصادق رئيس فرع الدميين بفاقوس شرقية ، رحم الله الوالدة رحمة واسعة ، وألهم أهلها الصبر والسلوان ، ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

كما تتقدم جمعية أنصار السنة المحمدية وأسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء للشيخ سيد عباس الجليمي في وفاة والده رحمه الله رحمة واسعة وغفر له ، و إنا لله وإنا إليه راجعون.

الآن

المجلد الجديد لمجلة التوحيد

التوحيد
١٤٣٧ هـ
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

سارع باقتناء
نسختك من
المجلد الجديد

١٤٣٧ هـ

موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة
ويحتاج إليها
كل بيت

☎ 23936517

الآن

مفاجأة سارة

موسوعة التوحيد

١٠٠٠ جنيه

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٣٣
١٤٣٣

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية.
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم، خمسة وأربعون عاماً من مجلة التوحيد.
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد.

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

٤٥

٤٥ عاماً
٤٥ عاماً
٤٥ عاماً

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٥ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة ـ عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

مجلدات
مجلدات
مجلدات

بـ ١٠٠٠ جنيه فقط

مجلدات
مجلدات
مجلدات

٨ شارع قولة ـ عابدين
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦